

الباب الثاني

تحقيق التراث في العصر الحديث وتطور مناهجه

تمهيد: وصف سريع للبلاد تحت الحكم العثماني.

الفصل الأول: أسباب التطور ومنهج التحقيق في بدء النهضة.

والطباعة، وأثرها في منهج التحقيق.

الفصل الثاني: ماهية التحقيق والمواد المساعدة عليه.

الفصل الثالث: منهج التحقيق كما ينبغي أن يكون.

obeykandi.com

تمهيد

كانت القرون الثلاثة (٩٢٣ - ١٢١٣ هـ) التي سيطر فيها الحكم التركي، قد عملت عملها في إغماض العيون وتكبييل العقول، فقد فرض الأتراك على البلاد نوعاً من الاحتلال، هو في حقيقته محاولة لقتل البلاد مادياً وأدبياً، فقد أصبحت مصر - بعد أن كانت دولة ومقراً للخلافة - ولاية عثمانية، يقيم فيها والٍ تركي، لا يعنيه من أمرها إلا أن تخضع وترضى نهمه، ونهم سلاطين الباب العالي؛ بما تدرّ من مال.

وقد اتسم حكم الأتراك في كل البلاد التي حكموها بالجور والبطش ومصادرة الأموال والأملاك، وفداحة الضرائب، فعم الخوف والضيقة وانتشر الفقر، وفي هذه الفترة المظلمة نهبت نفائس التراث العلمي والأدبي من الكتب والمؤلفات، إذ حملها عملاء السلاطين العثمانيين من شتى العواصم العربية إلى القسطنطينية، كما نقلوا إليها عدداً كبيراً من العلماء والأدباء^(١) والوراقين، وأرباب الصناعات، وناهيك ما تيسر جمعه من المخطوطات النادرة، في مدن مصر، والعراق، وما بين النهرين، وسوريا، وفلسطين، وغيرها من البلدان، فإنها شحنت إلى الآستانة وتألقت منها خزائن للكتب ألحقت بأهم الجوامع والمدارس، وبعض القصور السلطانية.

كما نهب العثمانيون أموال الأوقاف التي حبست على العلم وأهله، وأوجه الخير، وألغى الولاية الأتراك ديوان الإنشاء الذي احتضن - في عصر المماليك - أكابر الكتاب، وساهم في الإبقاء على حياة اللغة العربية وآدابها، ثم بلغت المأساة ذروتها بفرض اللغة التركية لغة رسمية على البلاد التي يحكمها الترك العثمانيون باسم الإسلام. وكانت النتيجة أن انطفأت شعلة الحياة العلمية في البلاد إلا وميضاً ينبعث من الأزهر، الذي ظل الملاذ لما بقي من علوم الدين واللغة.

وفسدت اللغة العربية بما كثر فيها من التركي والعامي، وحادت عن قواعد الإعراب، وابتعدت عن سلامة التركيب العربي الأصيل.

(١) ذكر ابن إياس في تاريخه كثيراً من أسماء هؤلاء وقال إن عددهم بلغ نحو ثمانمائة وألف.

ومع هذه الحالة التي لاتتسر، فقد ظهر من الغيرة على اللغة، قلة من الأفراد، اتجهوا اتجاهاً تحقيقياً للتراث العربي، نذكر منهم: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) صاحب خزانة الأدب، والسيد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) صاحب تاج العروس، وغيرهم^(١).

* * *

(١) خصصتها بالذكر لما رأيت في كتابيها من التحقيق الدقيق والمنهج الثاقب. وقد نشأ الزبيدي في اليمن ثم جاء إلى مصر سنة ١١٦٧ هـ وحضر دروس أشياخ الوقت في الأزهر وكان يعرف التركية والفارسية والكرجية، وقد سمي أيضاً بعض شيوخ الأزهر للأخذ عنه. المخطوط التوفيقية ٢٨٨/٣.

الفصل الأول

أسباب التطور ، ومنهج التحقيق في بدء النهضة
والطباعة وأثرها في منهج التحقيق

أسباب التطور:

بدأت النهضة العربية الحديثة مع مطلع القرن التاسع عشر، ومن المتفق عليه بين باحثينا المعاصرين، أن النهضة العربية الحديثة استمدت إلهامها وقوتها من تفاعل عاملين أساسيين: الأول: تنبّه الوعي القومي في البلاد العربية، وديب روح اليقظة السياسية وكفاحها في سبيل حياة حرّة، وكيان عربي مستقل، وبذها الجهود الدائمة لنشر التعليم بين ربوعها وإقامة حياتها الجديدة على أركان تراثها وعناصر شخصيتها: من دين ولغة وأدب وتقاليده. ولم تنفصل حركة إحياء التراث عن حركة اليقظة القومية، ولا قامت بمعزل عنها، وإنما كانت عنصراً جوهرياً في برنامجها.

وكان من نتائج هذا الوعي النامي أن أحس كثيرٌ من المثقفين بوجوب إبراز عظمة بلادهم، وإشراق تاريخهم، ورفق ثقافتهم، وجلال حضارتهم، وأنهم هم وحضارتهم ليسوا عالة على ما جاء من الغرب، ملكاً في الحقيقة لأولئك الأجانب الذين يمثلون السيطرة والاستغلال والتعالي.

وفي كل مجال كان الاهتمام البالغ باستقراء ماضى تاريخنا، لا قصداً إلى الرجوع إليه والوقوف عنده، وإنما كان القصد إلى الانطلاق بالأمة من حيث انتهت، وهكذا أراد هؤلاء المثقفون أن يواجهوا الثقافة الغربية الوافدة بثقافة عربية أصيلة، ولم يكن من الممكن أن تكون الثقافة التي خلفتها عصور التخلف في القرون الثلاثة الأخيرة، هي الثقافة التي يمكن أن تسدّ حاجة هؤلاء المثقفين حينذاك، أو تصلح لمواجهة الثقافة الغربية المتحدّية، فاتجهوا إلى التراث العربي القديم، وإلى انتقاء جمهرة من روائعه لإحيائها ونشرها.

ومن واقع تاريخ اليقظة نرى أن مهمة السعى لاكتشاف ذاتنا والبحث عن جذورنا لم يحمل عبثها الأميون الذين يعيشون بعقلية الماضي؛ وإنما نهض بها عصريون مجددون، ممن اتصلوا بالغرب الحديث أوثق اتصال، ونهلوا من موارد ثقافته.

الثاني: اتصال الشرق بالغرب عن طريق البعثات الدراسية إلى أوروبا، واستقدام الأساتذة الغربيين للتدريس في معاهده، واشتراك بعض باحثي الشرق في المؤتمرات العلمية الدولية، وما إلى ذلك من وسائل الاتصال الثقافي^(١).

وقد أخذ المبعوثون المصريون - في أثناء دراستهم بأوروبا وبعد عودتهم يشاركون في هذا الميدان، كل في ناحية تخصصه.

ومن أبرز أعضاء هذه البعثات رفاة رافع الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣ م) الذى يعد أول رائد من رواد النهضة الحديثة، وقد حمل لواء الدعوة إلى إحياء التراث عند من قادة الفكر ورواد النهضة مثل: الشيخ محمد عبده، وعلى مبارك، وأحمد زكى (شيخ العروبة)، وأحمد تيمور.

جمعية المعارف:

وكانت أول خطوة جديدة في سبيل نشر التراث خطاها على باشا مبارك، حين ألفت هيئة برئاسة رفاة بك الطهطاوى^(٢) ثم حذت جمعية المعارف^(٣) في سنة ١٨٦٨ م حذو الهيئة الرسمية، وما لبثت أن تمت نمواً سريعاً، وعينت كثيراً بإحياء عدد كبير من الكتب التاريخية، والأدبية، كما عينت بنشر طائفة من الدواوين الشعرية التى أنتجتها العصور العربية الزاهرة في المشرق والأندلس^(٤).

ولكن يلاحظ أن التحقيق في هذه الكتب لم يتهجأ نهجاً علمياً دقيقاً، فقد كان المصحح يفسر بعض الألفاظ، ويشير في بعض الأحيان إلى اختلاف النسخ، دون أن يرمز لها،

(١) في سنة ١٣٠٦ هـ = ١٨٨٩ م عين عبد الله فكرى رئيساً للوفد العربى المصرى في مؤتمر المستشرقين الذى انعقد في العام نفسه في استوكهولم وقدم (عجالة البيان في شرح ديوان حسان) وقد سلك في إعداد الديوان مسلك العلماء المحدثين في التحقيق فتتبع نسخ الديوان المتعددة في القاهرة والقسطنطينية وغيرها ومن النسخ التى ظفر بها نسخة مكتوبة في أوائل القرن الثالث وهامشها ما يشير إلى أنها منقولة من نسخة قرئت على رابوا، في منتصف القرن الثالث، وقد قيد ما وجد في النسخ من اختلاف رواية ونقص أو زيادة.

وكان من أعضاء المؤتمر الشيخ محمود الشنقيطى، ومن البحوث التى ألفت: تاريخ الحكماء للقفطى، ومعجم الأدباء لياقوت. انظر كتاب معالم التطور الحديث في اللغة العربية وأدائها.

(٢) انظر الخطة التوفيقية ٣/٥٥-٥٦ والأدب الحديث لعمر الدسوقي ١/٧٤ و٢/١٧٦ ومن الكتب التى نشرت على يد هؤلاء الرواد تفسير الفخر الرازى، ومعاهد التنصيص، وخزانة الأدب، ومقامات الحريرى.

(٣) انضم إلى هذه الجمعية كثيرة من سرة القوم ومحبي العلم وعددهم ٦٦١ عضواً، أسسها محمد عارف باشا أحد أعضاء مجلس الأحكام بمصر. راجع أسماهم الأعضاء في آخر الجزء الأول من (تاج العروس) التى طبعت منه الجمعية خمسة أجزاء (١٢٨٥ - ١٢٨٧) هـ.

(٤) من الكتب التى نشرتها جمعية المعارف: شرح التنوير على سقط الزند لتاج العروس، أسد الغابة، ألف به البلوى، الفتح الوهمى، شرح تاريخ الصنيسى، زهر الآداب، ديوان ابن خفاجة الأندلسى. ٥ أجزاء من تاج العروس.

ولا يعلل لم اختار هذه الرواية وترك الثانية؟ ولم توضع لها المقدمات العلمية التي عرفها التحقيق فيما بعد، ولا أعدت لها الفهارس التي عرفناها في التحقيق.

شركة طبع الكتب العربية:

وفي سنة ١٨٩٨م ألفت جمعية جديدة لنشر الكتب القديمة وإحيائها، وكان من أعضائها: حسن باشا عاصم، وأحمد باشا تيمور، وعلى بك بهجت وغيرهم، وطبعت عدة كتب مفيدة^(١).
لجنة نشر المخصص:

وفي سنة ١٩٠٢م تكونت هيئة أخرى برئاسة الشيخ محمد عبده - وكان مفتياً في ذلك الوقت، وعضوية: حسن عاصم، وعبد الخالق ثروت، ومحمد النجارى، لإحياء الكتب القديمة^(٢) فأخرجت كتابي عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، ونشرت كتاب المخصص لابن سيده في سبعة عشر مجلداً، وقد قام بتصحيح هذه الكتب والتعليق عليها الإمام الشنقيطي الكبير، ونظر فيها الشيخ محمد عبده، وقد شارك الشيخ محمد عبده الإمام الشنقيطي في كثير من التحقيقات، ومنذ ذلك الوقت دأبت دور النشر على إحياء الكتب القديمة.

وسأعرض نماذج من تحقيقات الشيخ محمد عبده وغيره في تلك الفترة، لئرى منهج التحقيق فيها.

كان التحقيق في هذه الآونة يدور حول مقابلة النسخ المتعددة للمخطوطة الواحدة، وتصحيح النص على هذا الأساس، أى أساس المقابلة بين النسخ، وقد يشير المصحح في بعض الأحيان إلى اختلاف النسخ فيقول: «وفي نسخة كذا» دون أن يذكر لنا ما هي هذه النسخة، ولا من أين هي، ولا يعطى لنا مقدمة دارسة للكتاب ومخطوطاته وتوصيفه، هذه المقدمة العلمية التي عرفناها في التحقيق المعاصر، وقد يعدون للكتاب فهارس لكنها ليست الفهارس الفنية التي نعرفها اليوم، وكثيراً ما كان مصححو ذلك الوقت - وأخص بالذكر منهم الشيخ محمد عبده والسندوبى - يكتبون الشروح اللغوية، والتعليقات الأدبية التي قد تطول طويلاً يشبه الحواشى القديمة.

(١) طبعت الموجز في فقه الإمام الشافعى، وسيرة صلاح الدين الأيوبي، وفتوح البلدان للبلاذرى، والإحاطة في أخبار غرناطة، وتاريخ دولة آل سلجوق وغير ذلك.

(٢) أخرجت كتابي عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، ونشرت كتاب المخصص لابن سيده، وابتدأت في طبع كتاب المدونة للإمام مالك. انظر تاريخ الإمام ٢٤٧/٣.

وفي هذا الوقت بدأ الاهتمام بجمع المخطوطات للكتاب الواحد من أنحاء العالم، بغية التصحيح عليها، في سبيل إخراج الكتاب، فيذكر لنا الشيخ محمد عبده، أن أسرار البلاغة للجرجاني «كان كنزاً مخفياً لا تصل إليه يد الباحث، حتى يسر الله لنا نسخة بعث بها إلينا أحد أهل العلم من طرابلس الشام، وكان فيها نقص وتحريف، فأرسلتُ أحد طلبية العلم إلى الآستانة العلية ليقابلها على نسخة هناك، ثم أكمل تصحيحها في أثناء التدريس»^(١).

ثم يقول صاحب المنار عن دلائل الإعجاز:

«وقد كان هذا الكتاب كالذي قبله (أسرار البلاغة) كنزاً مخفياً، فظفر الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية بنسخة منه، وكان عند الأستاذ العلامة اللغوي الشيخ محمد محمود الشنقيطي نسخة أخرى، وكلاهما كان محرّفاً ومبدلاً، فعلم الأستاذ الإمام أن في المدينة المنورة نسخة منه، وفي بغداد أخرى، فعمل على استنساخها وصحح الكتاب هو والأستاذ الشنقيطي بمقابلة النسخ الأربع، فكان الكتاب الوحيد الذي اجتمع على تصحيحه علماء العصر في المعقول والمنقول»^(٢).

وفي بعض الأحيان كان المصححون يشيرون إلى النسخ باسم البلد التي جاءت منه، مثلاً في المخصص ٣٥/١ عند قوله (كلجة) يقول الإمامان، محمد عبده والشنقيطي: «هذا هو الصواب في اللفظ، وفي النسخة المغربية (طلحة)، وربما كانت تحريفاً لقرب الشبه في الرسم بين صورة اللفظين، خصوصاً إذا خفي سن الحاء، وقد وجد اللفظ على الصواب في المحكم وغيره من كتب اللغة».

ويفهم من هذا أن المصحح كان يرجع إلى كتب اللغة والأدب ليصحح الكلمة التي يقف أمامها، لكنه غالباً لا يذكر المرجع الذي رجع إليه.

وكانت مهمة المصحح أن يشرح بعض اللغويات، ويذكر بعض المقابلات، لكنه غير مضطر إلى تخريج الأحاديث النبوية والآيات القرآنية، ولا يترجم للأعلام، ولا يعرف بالبلدان ولا يضع الفهارس الفنية! كل هذا لم يوجد عند الشيخ محمد عبده، ومن عاصروه من العلماء العرب فيما وقع لنا من كتب.

وفي الكتب التي انفرد الشيخ محمد عبده بشرحها، نجد أن التحقيق يأتي عرضاً في أثناء الشرح، لكنه رسم لنا منهجاً في تصحيحه المتن فيقول:

«وأما تصحيح المتن فقد وفق الله بتعدد النسخ لدينا، وإن عظمت مشقة الاختيار علينا، لتباين الروايات، واتفاق الكثير منها على ما لا يصح معناه، ولا يستجد مبناه، فكان الوضع

(١) المنار ٥ ج ٤ ص ١٥٤.

(٢) المنار ٥ ج ٤.

اللغوى أصلاً نرجع إليه، والاستعمال العرفي مرشداً نعول عليه، ومكان المصنف بين أهل اللسان ميزاناً للترجيح، ومقياساً نعتد به في التصحيح، فإن تعددت الروايات عن معايير صحيحة أثبتنا في الأصل أولها بالوضع، إما لتأييده بالاتفاق مع أكثر الروايات، وإما لتمييزه بقرب معناه إلى ما احتف به من أجزاء القول، ثم أشرنا إلى الروايات الأخرى في التعليق»^(١).

وقد رأى - يرحمه الله - أن لانتفاع بمقامات بديع الزمان الهمذاني كان عسيراً لسببين:

الأول: ما عاث به النساخ في ألفاظه من تحريف يفسد المبنى، ويغير المعنى، وزيادة تضر بالأصول، ونقص يهزئ الأساليب وينقص التراكيب، فمست الحاجة إلى تصحيحه، ورد لفظه إلى صريحه.

الثاني: غرابة بعض كلماته، فعمد إلى تفسير غريبه، وتبيين خفيه وتوضيح غامضه. يقول:

«وأقدمت على ذلك بلا سابق أقتفيه، ولا ذى مثال أحتذيه، ولا مادة لي إلا طبع عربي وذوق أدبي، وأمهات اللغة الحاضرة، وأمثال العرب السائرة، ومقالات لهم على الألسن دائرة»^(٢).

وقد ذكر الشيخ رشيد رضا في تاريخ الإمام رسالتين:

وجه أولهما الشيخ محمد عبده إلى سلطان المغرب يعرض عليه «أنه قد تألفت في مصر جمعية لإحياء العلوم العربية، وخاصة عملها أن تبحث عما كاد يفقد من كتب السلف، وتصحح نسخه وتطبعه، حتى يحيا بذلك ما اندرس من علوم الأولين، واحتجبت عنا بمحدثات المتأخرين»^(٣).

ووجه الثانية إلى قاضى قضاة المغرب، يأمل إرسال نسخة من مدونة الإمام مالك مودعة في مسجد القرويين بفاس، ليتمكن الطبع والتصحيح عليها، لأنهم لم يجدوا نسخة كاملة يوثق بصحتها في مصر ولا في تونس، وقد تأكد للإمام أن نسخة كاملة من الكتاب توجد في جامع القرويين، فطلب من قاضى القضاة في المغرب «أن يرسل إلينا هذه النسخة، إما بتمامها لتقابل عليها ما عندنا، وتم منها ما ينقص نسختنا ونعيدها إليه، ونهدى الجامع عشر نسخ

(١) انظر مقدمة مقامات بديع الزمان الهمذاني ط سنة ١٩٢٤.

(٢) مقدمة المقامات.

(٣) تاريخ الامام ٥٤٥/٢ - ٥٤٦.

من الكتاب عند نهاية طبعه إن شاء الله تعالى، وإما مفرقة جزءاً بعد جزء فكلما انتهى الغرض من جزء أرسل إلى مقره»^(١).

ويتضح مما ذكرناه أنهم كانوا يصبون اهتمامهم في هذه الفترة على جمع النسخ ليخرجوا منها نسخة صحيحة المتن مصوّبة بقدر الإمكان.

والناظر في مقدمة (أدب الكاتب) لابن قتيبة، المطبوع في مطبعة الوطن سنة ١٣٠٠ هـ، يجد الناشر يقول: «مقابلاً على نسخة بخط الأستاذ الإمام الفاضل المرحوم الشيخ نصر أبو الوفا الهوريني بغاية الضبط، وهو نقلها من نسخة مقابلة مضبوطة بخط حمزة بن الحسين، تاريخها سنة أربع عشرة وخمسمائة».

ولقد كان الأستاذ الإمام يجوب البلاد بحثاً عن المخطوطات العربية، فأخبره بعض أصحابه أن في صقلية من الآثار العربية ما يهم العربي أن يراه، وفيها دور للكتب لا تخلو كل منها من كتب عربية قديمة، ربما يستغرق الاطلاع عليها زمناً^(٢)، ففضى فيها فترة يبحث عن المخطوطات، وكان يستنسخ ما يهيمه منها، ورأى وهو منفى في بيروت سنة ١٤٠٤ هـ كتاب (البصائر النصرية) قال: «فاستنسخت نسخة منه وبقيت عندي كغيرها من الكتب»^(٣).

وقد رأيناه في بعض الأحيان ينفي نسبة الكتاب إلى من شاع عند الناس أنه مؤلفه، محتجاً بأدلة منطقية لغوية على منهج تحقيقي فريد.

فقد نفى أن يكون كتاب فتح الشام للواقدي، فقال: «إني لو حكمت بأنه مكذوب عليه مخترع النسبة إليه، لم أكن مخطئاً، وذلك لأن الواقدي كان من أهل المائة الثانية من الهجرة، وكان من العلم بحيث يعرفه المأمون... ويواصله ويكاتبه، وصاحب هذه المنزلة في تلك القرون إذا نطق في العربية فإنما ينطق بلغتها، وقد كانت اللغة لتلك الأجيال على المعهود منها من متانة التأليف وجزالة اللفظ وبداعة التعبير، والناظر في كتاب الواقدي، يتكشف له بأول النظر أن عباراته من صناعات المتأخرين في أساليبها... يجد أسلوبه من أساليب القصاصين في الديار المصرية من أبناء المائة الثامنة أو التاسعة، ولا يرى عليه لهجة المدنيين ولا العراقيين، والرجل كان مدني المنبت عراقي المقام»^(٣).

هذا اللون من التحقيق (مقابلة النسخ لإخراج نص سليم) هو الذي عرفه مصححو مطبعة بولاق، وجهودهم تبدو واضحة فيما أخرجوه لنا من كتب التراث أمثال: صحيح

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر المنار، المجلدين: ٦، ٧.

(٣) البصائر النصرية ص ٢ - المطبعة الأميرية سنة ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م.

البخارى، وخزانة الأدب، والأغاني، ولسان العرب، وصحاح الجوهري، والقاموس المحيط، وكتاب سيويه، وشرح الحماسة للتبريزي، وشرح المقامات للشريشي، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان، وكثير غيرها من أمهات الكتب^(١).

ويذكر لنا التاريخ أسماء شيوخ عظام كانوا يقومون - في أمانة ودقة - بإخراج تلك الكتب على قدر طاقتهم العلمية ومنهجهم في الإخراج، وكان كثير منهم له تأليف خاصة فضلا عن انشغالهم بتصحيح الكتب الموكولة إليهم نذكر منهم: الشيخ نصر الموريني^(٢)، والشيخ محمد قطة العدوي^(٣)، والشيخ محمد الحسيني، والشيخ طه محمود، والشيخ محمد عبد الرسول والشيخ محمد قاسم، والشيخ محمد الغمراوي والشيخ عبد الغنى محمود وغيرهم.

لكن يؤخذ على هؤلاء العلماء الأفاضل، أنهم لم يعتنوا بذكر الأصول المخطوطة التي اعتمدوا عليها في إخراج الكتب، فلا يوصفون النسخ المخطوطة التي طبعت عليها أمهات كتب التراث في ذلك الزمان، وقد شد عن ذلك ما تراه في بعض الكتب، مثل ما جاء في آخر لسان العرب المطبوع في مطبعة بولاق سنة ١٣٠٠هـ - ١٣٠٨هـ، حيث ذكر مصححه الشيخ محمد الحسيني، أن هذه الطبعة اعتمدت على نسخة بخط ابن منظور نفسه كانت في وقف السلطان برسباي بن شعبان، ونسخة أخرى أحضرت من مكتبة راغب باشا باستانبول، ومنه ما ذكره الشيخ إبراهيم عبد الغفار مصحح ديوان مجنون ليلي، المطبوع ببولاق سنة ١٢٩٤ هـ، حيث ذكر تاريخ النسخة التي طبع عليها الديوان، وهو: أواخر شهر جمادى الآخرة من سنة ٧٩٢ هـ، ومنه ما ذكره الشيخ محمد الغمراوي في آخر الطبعة الميمنية من مسند الإمام أحمد بن حنبل، من الاعتماد على نسخة من (المسند) مخطوطة بخزانة السادات الوفائية بمصر.

(١) انظر مقدمة نكت الهيبان في نكت العيبان - والنص عن المؤيد ٢٦ مارس سنة ١٩١١م ص ١٠٨.

(٢) الشيخ نصر الموريني، من علماء الأدب واللغة، تعلم في الأزهر، ثم أرسلته الحكومة المصرية إلى فرنسا، إماما لإحدى بعثاتها - مثل رفاة الطهطاوي - فأقام مدة، تعلم فيها الفرنسية، ولما عاد إلى مصر، ولي رئاسة تصحيح مطبعة بولاق، فصحح كثيرا من كتب العلم، والأدب، والتاريخ، واللغة، وصنف كتبا كثيرة منها: «المطالع النصيرية للمطابع المصرية» في أصول كتابة الإملاء، ولعله من أحسن الكتب في موضوعه حتى يومنا هذا، وشرح ديباجة القاموس المحيط للفيروزبادي، الذي طبع في مقدمة القاموس. وكان للشيخ نصر مشاركات أخرى في غير مطبعة بولاق، فقد صحح كتاب (شفاء الغليل)، فيما في كلام العرب من الدخيل) للشهاب الحفاجي، وعلق بهامشه تعليقات نفيسة، وطبع الكتاب بالمطبعة الوهيبية بالقاهرة سنة ١٢٨٢هـ. وقد نشر أحد المعاصرين كتاب شفاء الغليل هذا، ونقل في حواشيه تعليقات الشيخ نصر دون أن يعزوها إليه! ومن مؤلفاته غير ذلك الكثير، ذكرها الزركلي في الأعلام ٨ / ٢٩. توفي رحمه الله سنة ١٢٩١ هـ = ١٨٧٤م.

(٣) الشيخ محمد بن عبد الرحمن المعروف بـ (قُطه العدوي) كانت له عناية بالنحو ومن مؤلفاته المطبوعة: (فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل)، ونسخ بعض الكتب بخطه، وبعضها محفوظ في دار الكتب المصرية.

توفي رحمه الله سنة ١٢٨١ هـ = ١٨٦٤ م

ومثل هذه الإشارات العامة المطلقة، لا تغنى شيئاً، إذ أنها سَكَتَتْ عن وصف النَّسخ، من حيث تاريخ النسخ، ونوع الخط، وعدد الأوراق، والأسطر، وما قد يكون على المخطوطة من إجازات أو سماعات أو تملكات، لكنهم مع ذلك قد حرصوا على جلب أكثر من نسخة لتصحيح الكتاب، وتنبهوا أيضاً لذكر فروق النسخ بالهامش، وذكر الروايات المختلفة كالذى تراه في حواشى لسان العرب، والقاموس المحيط، من الرجوع إلى التهذيب للأزهري والمحكم لابن سيده، والنهاية لابن الأثير، كما أنهم كانوا يقفون عندما يشكل عليهم شيء من النص ويكتبون أمامه في الهامش:

«هكذا بالأصل وحرراً أو تنبّه»، ونحو ذلك ولم يعن القوم بالفهارس الفنية الكاشفة عن كنوز الكتاب المنشور، واكتفوا بذكر فهارس موجزة لمباحث الكتاب وأبوابه وفصوله. غير أنه ظهرت في تلك الأيام بوادر لهذه الفهارس الفنية، من ذلك ما تراه في طبعة مقامات الحريري، من فهرس شامل للكلمات اللغوية، والأمثال العربية التي تضمنتها المقامات، وهذه النشرة صدرت عن مطبعة بولاق سنة ١٣١٧ هـ.

ومهما يكن من أمر فقد كانت تلك المرحلة من أغنى وأخصب مراحل نشر التراث العربي وإذاعته، وهى بكل خيرها وعطائها قد أسلمت إلى ما تبعها من مراحل.

أما دار الكتب المصرية (القسم الأدبي):

فقد أنشأت دار الكتب المصرية، مطبعة خاصة بها، جمعت لها كل أسباب الجودة والإتقان، بحيث صار الكتاب المطبوع بدار الكتب المصرية، عنواناً على أحسن إخراج وأتق صورة. وإليها يرجع الفضل الأخير في القدوة المثالية للمحققين المعاصرين، ولعل أول نافخ في البوق على أحدث المناهج العلمية، هو المغفور له أحمد زكى بك باشا (شيخ العروبة)، صاحب مشروع (إحياء الآداب العربية) الذى عرف فيما بعد باسم (القسم الأدبي) في دار الكتب المصرية، وقام المرحوم زكى باشا (شيخ العروبة) بتحقيق كتاب (نكت الهميان في نكت العميان) سنة ١٩١٠ م رامزاً إلى النسخ برموز لاتينية، على طريقة المستشرقين، وذكر زكى بك - آنذاك - في مقدمته لهذه الطبعة أنه طبعه مقابلاً على أربع نسخ عثر عليها في القسطنطينية، فنقلها بطريق التصوير الشمسى، وقد ضاهى هذه النسخ بعضها على بعض، وذكر اختلافها في حواشى النسخ المطبوعة، ومما يجدر نقله عن زكى باشا: «أنه ذكر ما جرى عليه من الفصل بين الجمل، والفقرات بعلامات جديدة، ولاحظ على ذلك أنها في الحقيقة قديمة، لأن أغلبها مأخوذ عن الكتب العربية المخطوطة التي بين أيدينا، أو الموجودة في خزانة الكتب العمومية أو الخصوصية^(١) ثم نشر كتابي: أنساب الخليل والأصنام لابن

(١) انظر مقدمة نكت الهميان في نكت العميان - والنص عن المؤيد ٢٦ مارس سنة ١٩١١ م ٦ ص ١٠٨.

الكلبي، وطبعا في المطبعة الأميرية سنة ١٩١٤ باسم لجنة إحياء الآداب العربية. وعلى العموم فإن القسم الأدبي في دار الكتب يعتبر مرحلة النضج والكمال في التحقيق من حيث استكمال الأسباب العلمية، واصطناع الوسائل الفنية، المعينة على إخراج كتاب التراث إخراجاً علمياً دقيقاً، يقوم على جمع نسخ الكتاب المخطوطة والمفاضلة بينها، وما يتبع ذلك من إضاءة النص ببعض التعليقات والشرح، وصنع الفهارس التحليلية الكاشفة لكنوز الكتاب، وما يسبق ذلك كله من التقديم للكتاب، وبيان مكانته في المكتبة العربية، وموضعه من كتب الفن، الذي يعالجه، تأثراً وتأثيراً، ثم الترجمة لمؤلفه.

* * *

مضى جيل الرواد المتمثل في: محمد عبده، وأحمد تيمور، وأحمد زكي، ومحب الدين الخطيب، وتقدم إلى الميدان خلف لهم من علماء العربية والإسلام نذكر منهم على سبيل المثال: عبد السلام هارون، وإبراهيم الإبياري، وأبو الفضل إبراهيم وعلى البجاوي، وأحمد شاكر، ومحمود شاكر، وأمين الخولي وعائشة عبد الرحمن، تابعوا نشر ذخائر تراثنا على منهج علمي رسمه زكي باشا.

ومن ناحية أخرى يذكر تاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة: أن الأستاذ أمين الخولي فرض منهج التحقيق العلمي على طلاب الدراسات العليا بقسم اللغة العربية، ثم ألزم كل من يتقدم لنيل درجة الماجستير، أو الدكتوراه بأن يقدم نصاً محققاً لمخطوط من تراثنا يتصل بموضوع الرسالة^(١) ويمثل هذا نادى أستاذنا عبد السلام هارون في كلية دار العلوم جامعة القاهرة وغيرها.

والمراد بهذه الصيحة أن يزيد عدد المتخصصين الذين يحملون أمانة التحقيق، ويسدّون بعض الفراغ الذي اقتحمه تجار الكتب، وقدموا كتباً مطبوعة من تراثنا لم تخضع لأى ضابط من ضوابط التحقيق الذي يصون حرمتها وقيمتها، ويحميها من العبث والتشويه.

ومع النصف الثاني من القرن العشرين رأينا من يحاضر في منهج تحقيق التراث لطلاب الدراسات العليا بكلية الآداب جامعة عين شمس، ومثل ذلك ما يقوم به الآن الدكتور خليل العطية في جامعة البصرة بالعراق، والدكتور عبد المجيد دياب في كلية الآداب جامعة المنوفية. وآداب قنا. فرع أسيوط. وكلية الدراسات العربية. جامعة المنيا.

وما يقوم به الكثيرون من أساتذة الجامعات والمتخصصون اليوم في مراكز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية. ومركز تحقيق التراث بكلية الدراسات العربية. جامعة المنيا، وغير ذلك من جميع الأقطار العربية.

(١) انظر التراث العربي دراسات ص ٢٧.

ومن أوائل مطبوعات القسم الأدبي في دار الكتب المصرية (صبح الأعشى) للقلقشندى في ١٤ مجلدا سنة ١٩٢٠م وقد طبع في المطبعة الأميرية باسم دار الكتب، وتعد هذه هي الطبعة الثانية، إذ طبع قبل ذلك في بولاق سنة ١٩٠٥، ثم (نهاية الأرب) الذي بدأت طباعته محققا سنة ١٩٢٣م بمطبعتها، واليوم ١٩٩٢ يستكمل طباعته مركز تحقيق التراث بالهيئة المصرية للكتاب في ٣٣ جزءا.

ثم نشر القسم الأدبي بدار الكتب: عيون الأخبار.. فنشر الجزء الأول سنة ١٩٢٤م والثاني سنة ١٩٢٦م والثالث ١٩٢٨م والرابع سنة ١٩٣٠م.

وكانت الصيحة الداوية لدار الكتب تبنيتها لطبع كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني بإشراف القسم الأدبي، الذي كان يرأسه المغفور له أحمد زكي العدوي، بناء على اقتراح السيد علي راتب، الذي تكفل بنفقات طبعه، وصدر الجزء الأول منه سنة ١٩٢٧م، وحظي بعناية فائقة في إعداد صنع الفهارس التحليلية وعمل مقدمة دراسية ضافية، ثم أعادت طبع الجزء الأول مرة ثانية سنة ١٩٥٢م وفيه عدل بعض الشيء عن الطريقة الأولى التي اتبعت في إخراج الطبعة الأولى من الاعتماد على رواية ديوان الشاعر، وإثباتها في صلب الكتاب - وإن خالفت رواية الأصول - إلى إثبات الأصول في الصلب مع التنبيه على رواية الديوان في الهامش طبقا لأصول قواعد النشر^(١).

وفي مطبعة دار الكتب المصرية، وعلى منهجها القويم خرجت أمثال هذه النفائس: تفسير القرطبي (٢٠ جزء) والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، وشروح سقط الزند، لأبي العلاء المعري، وتعريف القدماء بأبي العلاء، والفاضل للمبرد، والمعرب للجواليقي، وأساس البلاغة للزمخشري.

وقد كان للطابع المميز الذي ظهرت به منشورات دار الكتب أثر بالغ في اقتداء بعض الأفراد العلماء بذلك المنهج.

وقد ظل عصراً طويلاً بعد وفاة زكي باشا.. إلى سنة ١٩٣٨م لم يكن في مصر من يضع اسمه على كتاب محقق، اللهم إلا جماعة محدودة لا يزيدون على أصابع اليدين، وهم سبعة على وجه التحديد: محب الدين الخطيب، وأحمد شاكر، وعبد السلام هارون، ومحمد مصطفى زيادة، ومصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، وكلهم ناهل من حياض القسم الأدبي، وقاطف من رياضه، إما مباشرة، أو بالواسطة، وعلى ضوء مجهودات هذا القسم،

(١) انظر مقدمة الجزء الأول من كتاب الأغاني - الطبعة الثانية سنة ١٩٥٢. أو انظر الملحقات ص ٣١٩ (منهج التحقيق في كتاب الأغاني).

ومجهودات هذه الجماعة الأولى، وجدنا ثبت أسماء المحققين يزداد يوماً بعد يوم، حتى أصبحوا الآن كثرة في العالم العربي.

ونستطيع أن نسمى هذه المرحلة: (مرحلة دار الكتب المصرية) إذ كانت منشوراتها من كتب التراث تحمل كل سمات ذلك المنهج العلمي الدقيق، في إخراج النصوص بواسطة القسم الأدبي الذي كان يضم:
أحمد زكي العدوى، وأحمد نسيم، وحافظ إبراهيم، وأحمد رامى وغيرهم.

وكان صاحب الفضل في مدّ الجسور بين محققى القسم الأدبي - فيما يتصل بنشر التراث - أحمد زكى باشا الذى اتصل بعلماء الاستشراق، ومثل مصر في مؤتمراتهم وعلى وقع خطوات أحمد زكى، ويهدى من توجيهه وإرشاده، اندفعت دار الكتب المصرية في طريق نشر التراث، وتكوّن بها القسم الأدبي الذى أخرج الكتب المعروفة من الدار، وكان هذا القسم المدرسة الكبرى في القدوة المثالية للمحققين المعاصرين أذكر ممن كانوا يعملون بهذا القسم الذى كان يدار برئاسة الأستاذ الجليل أحمد زكى العدوى: الشاعر الضير أحمد الزين، وإبراهيم الإيبارى، وعبد الرحيم محمود، وأحمد نسيم، ومحمد عبد الجواد الأصمعى، وأحمد عبد العليم البردوني، والعالم الجزائرى إبراهيم اطفيش، ومحمد الحضر حسين، العالم التونسى الذى تولى مشيخة الأزهر في أول قيام الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ م.

* * *

أحمد زكى وأثره في التحقيق (١٨٦٧ - ١٩٣٤ م)

كان من كبار الكتاب والمخطباء في مصر، أتقن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية، ولد بالإسكندرية، وتخرج بمدرسة الإدارة والحقوق بالقاهرة وأحكم صلته برجال العرب في جميع أقطارهم وكان محباً للعربية، فتسمى به (شيخ العروبة) وسمى داره (بيت العروبة).

وأحمد زكى يعتبر الرائد الأول لمشروع (إحياء الآداب العربية)، الذى كُون من أجله فيما بعد ما يعرف به (القسم الأدبي) في دار الكتب المصرية وأن لنا أن نقف قليلاً لنرى ماهية هذا المشروع:

وجد المغفور له زكى باشا - نتيجة بحثه وتنقيبه - أن في اللغة العربية كنوزاً، ومعارف مطمورة لم يفك أحدُ أرسادها حتى وقته، وما هى إلا نفائس من الكتب مبعثرة في خزائن المكاتب في الغرب والشرق، محجوبة منافعها عن طلاب العلوم، لعدم العناية بطبعها ونشرها، وقد كان الفضل في كشف الحجاب عما عرفناه منها - حتى زمنه - لكبار المستشرقين الذين لم يألوا جهداً في البحث والتنقيب والدرس، حتى تمكنوا من إبراز عدد كبير من تلك المؤلفات إلى عالم الطباعة، ومنهم من ترجم شيئاً منها إلى لغاتهم.

وفي سنة ١٩١٠ م تقدم شيخنا بمذكرة لمجلس النظار ضمنها ما عنَّ له من وجوه الإصلاح، وضروب الوسائل التي من شأنها إحياء الآداب العربية (القسم الأدبي في دار الكتب فيما بعد)، وذيلها بنبد قصيرة عن عدة كتب مخطوطة توصل إلى نقل صورها بطريقة التصوير الشمسى من القسطنطينية والبلاد الأخرى، وقد وافقت الحكومة على هذا المشروع ورصدت له المال اللازم لتنفيذه، والمشروع ليس وليد عامه، إنما هو ثمرة لبحث توالى عشرين سنة قبل ذلك، وشيخنا يوالى البحث والتنقيب عن آثار العلوم العربية، فاقترحه إذن نتيجة درس طويل وبحث عميق.

ولقد عهدت الحكومة إلى أحمد حشمت باشا - ناظر المعارف آنذاك - أن ينظر في هذا المشروع، فوافق عليه وطلب البدء - منذ وقته - في طبع الموسوعتين الكبيرتين:

١ - نهاية الأرب. للنويرى.

٢ - مسالك الأبصار. لابن فضل الله العمري.

وقد نشرت (اللواء في ١١ ديسمبر سنة ١٩١٠) كشفاً بالمخطوطات التي قدمها صاحب المشروع^(١).

ولعل اتجاه أحمد زكي قد تحدد فعلاً إلى التحقيق العلمي، ووجد نقطة البدء الحقيقية عندما اختاره الخديوي عباس لتمثيل مصر في مؤتمر المستشرقين في لندن (أغسطس سنة ١٨٩٢)، فقد عمقت هذه الرحلة جوانب شخصيته التحقيقية والفكرية وأعطتها دوافع الانطلاق.

فقد لقي المستشرقين، وتحديث معهم، واستمع إليهم، وزار مكاتب أوروبا بحثاً عن التراث العربي، وقد ظلت هذه الأعمال ممتدة طول حياته، فقد توالى رحلاته لأوروبا، وتوالى مقابلاته للمستشرقين والباحثين، وتوالى حضوره لمؤتمرات المستشرقين، وتوالى بحثه عن المخطوطات العربية، في مكاتب الشرق والغرب، ولعل من آيات نبوغه تمثيله لمؤتمر المستشرقين سنة ١٨٩٢، ولم تكن سنه تتجاوز الخامسة والعشرين.

عاش زكي باشا يدافع عن تراث العرب وتاريخهم وأعلامهم، يقظاً لكل ما ينشر عنهم، متحريراً عنهم، دافعاً أخطاء المستشرقين وأوهام الباحثين، منقياً عن صحيح الآراء.

ولعلنا نستطيع أن نجد ملامح هذه النظرية (جمع التراث وتحقيقه) في مذكراته التي سطرها من أجل الدعوة إلى تبنى الحكومة لمشروع (إحياء الآداب العربية) سنة ١٩١٠، فيقول: «إن المستشرقين يتهافون على الوقوف على كل ماله ارتباطاً بالحضارة الإسلامية، ولا شك أن الحظ الأوفر في هذه النهضة يجب أن يكون لمصر».

ويقول: «إن المستشرقين لا يألون جهداً في العمل على نشر الكتب التي صنفها جهابذة العرب، وبحثوا فيها عن شتى الموضوعات، وتشر لهم طائفة كبيرة من أمهات الكتب العربية النفيسة، وقد يترجمونها إلى لغاتهم^(٢)».

وتحقيق التراث وجمع مخطوطاته كان العمل الضخم الذي وهب له نفسه منذ مطلع حياته، وقد بذل له من اهتمامه وماله، كل ما يملك وفوق ما يملك.

وقد كان هذا العمل متمثلاً في الحصول على المخطوطات العربية من روائع التراث العربي المفقودة، فرأى أن بعض هذه المخطوطات قد طبعت بمعرفة المستشرقين، فتطلع إلى أن يقوم بمثل هذا العمل في التحقيق والفهرسة، وملأت نفسه الرغبة في أن يقوم بجهد في هذا الاتجاه، واستهل جهده حين قدم لمؤتمر المستشرقين في لندن سنة ١٨٩٢م عشرة كتب

(١) لمن أراد المزيد أن يرجع إلى الأهرام في ٩ ديسمبر سنة ١٩١٠، وجريدة مصر في التاريخ المذكور، والبصير في ١٠ ديسمبر سنة ١٩١٠، واللواء في ١١ ديسمبر، والمؤيد في ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٠.

(٢) الأهرام ٩ ديسمبر سنة ١٩١٠.

قديمة نقحها وصححها، وواصل عمله في سبيل البحث عن المخطوطات وتحقيق التراث، وهي المهمة التي جرد نفسه لها، وما كان يرتضى بشيء سوى ما فيه تصديع الدماغ ووجع القلب، وتعب العين في التوفر على مغازلة الكتب المخطوطة.

وكان اتجاهه إلى استخدام التصوير الشمسي في نقل هذه المخطوطات عملاً جديداً خطيراً لم يسبق إليه سابق من العرب، ولم يمض إلا القليل حتى استطاع أن يقدم مشروع (إحياء الآداب العربية)، وقدم كشفاً بأساء الكتب التي تتخذ نواة للمشروع، واعتمد مجلس النظار للمشروع مبلغ ٩٣٩٢ جنيهاً في ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠.

وبرز مشروع إحياء الآداب العربية، وصار من حق المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية الإشراف عليه، وفعلاً بدأ العمل بطبع موسوعتي: نهاية الأرب في فنون الأدب، ومسالك الأبصار، ولكنه توقف منذ أيام الشيخ حتى اليوم!!! وهناك محاولات لاستكمال هاتين الموسوعتين فما سبب توقفه؟؟؟

إنه أحب أن ينفرد وحده بهذا العمل، ولما كان يجب التدقيق ولا يثق بتحقيقات غيره، أبطأ بالطبيعة في إخراج العمل فاسترجع المبلغ^(١)، ولاتزال هذه الكتب رهينة الهيئة المصرية العامة للكتاب، والكتاب الأول «نهاية الأرب» رهن الطبع بعد أن تم تحقيقه بواسطة خيرة أساتذة التحقيق منذ عشرات السنين، وقد استكملت طباعته سنة ١٩٩٣ في ٣٣ جزءاً أما الكتاب الثاني فقد طبع منه الجزء الأول فقط وبعض الملازم من الجزء الثاني بواسطة أحمد أحمد زكي باشا، وما زال الكتاب أكثره منسوخاً ووزع على المحققين ولم يتم تحقيقه حتى اليوم منذ أن مات زكي باشا.

ولقد بلغ من اهتمام زكي باشا وتدقيقه أن سافر إلى فلسطين، ومعه مسودة مسالك الأبصار، فكان يقرأها على بعض علماء القدس الأثريين، ويقارن بين ماورد فيها من آثار القدس، وما هو موجود في يومه.

يقول: «وقد عنيت كل العناية، وبذلت غاية الجهد في تحقيق هذا الجزء (الأول)، وسافرت إلى فلسطين في صيف العام الماضي، لتطبيق ما أورده المؤلف عن المسجد الأقصى من البيانات الفنية المعمارية، والاصطلاحات الهندسية البنائية، التي لم يجر في قلم كاتب قط، لا من العرب ولا من العجم، لا قديماً ولا حديثاً، أبرزته على هذا المثال الذي أرجو أن ينال قبولاً عند العارفين من أهل العلم، وأمل في الله كبير أن يمَدني بالتيسير لإكماله على هذا النحو من الخدمة^(٢)».

(١) أحمد زكي ص ٦٠.

(٢) مقدمة مسالك الأبصار ج ١ دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤.

وكثيراً ما كان يرفع عقيرته حائثاً لقومه بضرورة التحقيق العلمي، والكف عن العبث الذي كانت تخرجه المطابع آنذاك، قائلاً: «ومما امتازت به الطباعة الألمانية أنها احتكرت تقريباً الكتب الشرقية، ونحن أعرف الناس بأن هؤلاء القوم ينقرون عن آثار أسلافنا، التي لا نكاد حتى الآن نسمع بها، أو نتصور وجودها، هم يطبعونها ويستفيدون منها علماء، وأما نحن.. نحن أبناء العرب الكرام وسلالة الشرقيين الأماجد، فقد قنعنا بالافتخار بالعظيم الرحيم!! وأصبحنا في هذا الأمر الخاص بنا، عالة عليهم نستقى من بحرهم ونتناول من فضلاتهم!! نعم فقد طبع الألمان أهم كتب أئمتنا في التاريخ والجغرافيا والأدب، ثم نجىء بعض مطابعنا ففسد عنهم ولا تخجل من عدم نسبة الفضل إليهم في هذا الباب، وليت أصحاب المطابع في مصر يعادلونهم في صحة الطبع، وتقريب التناول وتسهيل المآخذ، بل إن الكتاب المطبوع أولاً في ألمانيا ثم في مصر بعد عشرات من السنين، لا يزال يساوى في القيمة - حساً ومعنى - عشرة أمثال تلك الهذيان التي يطبعونها في مصر»^(١).

أما التحقيق العلمي الصحيح، فهو فيما يقول: «براعة المحي أثرها إلا نزرًا يسيراً، ننشدها هنا وهناك فلا نجد لها غير ثمامة زهيدة عندنا، مزهود فيها عند غيرنا، أما نفحاتها الحقة، وأما مظاهرها فقد ودعت بلادنا من زمان بعيد، ثم طاب لها القرار في ديار الفرنج، لأنهم أكرموا مثواها، ولا يزالون يبالبغون في الحفاوة بها.

حقاً إنهم أخذوا عن أجدادنا في الأندلس، والمغرب، ومصر، والشام، والعراق، والجزيرة المقدسة، وما وراء ذلك حتى مطلع الشمس، بيد أنهم واصلوا البحث والدرس حتى وصلوا إلى تسخير العناصر لخدمتهم، وإلى ابتكار الصنائع، واختراع البدائع التي يصح وصفها بأنها «مالا عين رأت ولا أذن سمعت»، هم يتوافقون على أقطار العروبة من أقصاها إلى أقصاها، فيبحثون عمياً جهلنا من آثار أجدادنا الأولين، هم ينقبون عن مفاخر أقوامنا في كل فن ومطلب، فيعيدونها إلى الحياة ونحن نيام نيام!! ولا أقول غير ذلك.

على أننا نحمد الله قد بدأنا نأخذ عنهم، ثم أنشأنا ننسج على منوالهم، فدخلنا طور التجربة وسيتبعه دور الانتقال، فنكون جديرين بالأجداد.

بدأت بشائر هذه النهضة في مصر فجاوبتها الشامات، ثم جاء الدور لبغداد، وهو آت بلا شك إلى الجزيرة المقدسة»^(٢).

كما أنه أثار في مؤتمر المستشرقين في أثينا سنة ١٩١٩م مسألة هامة في تحقيق التراث، وهي أمانة النقل عن الأسلاف، وهل يجوز لطابع كتبهم القديمة أن يتصرف في نقله

(١) الدنيا في باريس ط سنة ١٩٠٠ مصر.

(٢) مقدمة الصابئة قديماً وحديثاً ١٩٣٦.

بالحذف والإصلاح والتهديب، أو يبقى الأصل كما ورد؟ واستقر الرأي على ضرورة بقاء كتب التراث على حالها الأصلي^(١).

وقد أثارَت المخطوطات التي حققها زكى باشا وطبعها، اهتمام الباحثين من عرب ومستشرقين، فقد قدّم لهذه المخطوطات بدراسة عن المؤلف وسيرته وتأليفه، ووصف النسخ، وفهرس للكتب التي حققها فهرسة فنية، وعلق عليها تعليقات تاريخية، وشرحها شرحاً لغوية.

ومن هذه المخطوطات التي أثارَت مناقشات متعددة: كتاب (التاج في أخلاق الملوك) الذي نشره ١٩١٤م وخدمه من حيث التعليق على متنه، وتحقيق رواياته، وإثبات أجدرها بالاعتماد، وتفسير مهماتها مع مقدمة باللغة الفرنسية ذكر فيها فضائل الجاحظ، وقال: إنه في الأدب العربي كقولتير، ورينان في الأدب الفرنسي.

ويقول عن نفسه: «جرت عادتي أن أحتاط في البحث فأسأل من أتوسم فيه العلم بما أجهله، وأقيد كلامه، ثم أسأل غيره، فإن تطابقا صح الأمر عندي، وإلا رجعت إلى غيرهما، وهكذا دواليك، حتى أقف على الحقيقة فأنشرها بين الناس»^(٢).

وقد أفادني غير واحد من أساتذتنا الذين كانوا يعملون في دار الكتب المصرية أنه كان يتردد على القسم الأدبي بدار الكتب، ويبدى ملاحظات وإرشادات للمحققين، وبعده النقاد أول مصري عرف بالبحث والتحقيق العلمي، ويرون أنه أول مصري استطاع أن يرفع رأسه بجانب المستشرقين في الجامعة، وأن يملأ الدنيا بأبحاثه^(٣).

ولعل هذين الكتابين (أنساب الخليل) و(الأصنام) مع كتاب (التاج) للجاحظ الذي حققه أيضاً، من أوائل الكتب التي كتب في صدرها كلمة (تحقيق). وقد طبعوا في المطبعة الأميرية سنة ١٩١٤ باسم (لجنة إحياء الآداب العربية) التي عرفت فيما بعد باسم (القسم الأدبي) في دار الكتب المصرية. وقد كان المستشرقون قبل ذلك يقولون: نشرة فلان، أو تصحيح فلان، وفي المطابع العربية كانوا يقولون: تصحيح فلان، كما أن تلك الكتب قد حظيت بإخراجها على أحدث المناهج العلمية للتحقيق، مع استعمال المكملات الحديثة من تقديم النص للقراء،

(١) حول مؤتمر المستشرقين بأثينا سنة ١٩١٢، انظر: مجلة العلم ٢٤ إبريل سنة ١٩١٢.

وهذا المقياس المتفق عليه فإننا نخرج كتاب (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) الذي نشرته وزارة الثقافة في ذكرى رفاة الطهطاوي عن أن يكون كتاباً محققاً فهو أقرب إلى الطبقات المدرسية. وكذلك بعض كتب التراث التي تنشر وقد حذف منها شيء. وكل كتاب من كتب التراث ينشر محمّوفاً منه شيء، أى شيء، بحجة التيسير أو غير ذلك من الحجج فلا يميل مؤلفه ويخرج عن منهجية (تحقيق التراث).

(٢) أحمد زكى ١٨٦.

(٣) مراىي أحمد زكى - الأهرام - يناير سنة ١٩٣٥.

ووصف النسخ، والرمز لها عند الاختلاف، ومن إلحاق الفهارس التحليلية. هذا فضلاً عن أنه أول من أشاع إدخال علامات الترقيم الحديثة في المطبوعات العربية كما سبق أن ذكرنا، فقد كتب سنة ١٩١٠: «رأينا تقدم العصر في الكتابة، والفكر يوجب إتخاف أبناء العربية بالإرشادات المستعملة في أغلب اللغات الأوربية؛ لإرشاد القارئ على مواقع الوقوف القليل والمستطيل، ومواقع التعجب والحيرة والاستفهام ونحو ذلك، لاجرم أن هذه الإشارات خير مرشد له في حسن التلاوة، وعدم خلط الجمل مع بعضها، كما هو حاصل في أغلب المطبوعات العربية»^(١).

وألف في ذلك كتاباً سماه (الترقيم في اللغة العربية) طبع في بولاق سنة ١٩١٣، ويقول في مقدمة تحقيقه لكتاب الأصنام: «أقدمت الآن على إظهار هذا الكتاب بعد أن بالغت في عنايتي بتحقيقه، وجريت في طبعه على الطريقة التي يتوخاها علماء الإسلام في أيامه الزاهرة، من تحقيق الكلمات كلها واحدة واحدة، والتدقيق في مراجعة الموضوعات موضوعاً موضوعاً، مع الاحتفاظ الشديد بضبط الألفاظ وتفصيل المطالب، وقد عانيت في ذلك كثيراً من المشقة، وراجعت دواوين اللغة ومتون الأدب وأسفار التاريخ وعلقت عليه كثيراً من الحواشي.

ثم ختمت الكتاب بفهارس تحليلية وأضفت إليه جدولاً بأسماء الأصنام التي لم يذكرها ابن الكلبي».

يقول شيخنا الأستاذ عبد السلام هارون في مقدمة كتابه (قطوف أدبية): «لا نستطيع أن نغفل فضل الجهد الأول في توجيه ذلك الإحياء، هذه الوجهة الجديدة التي عاصرناها، وكانت نواة لأعمالنا، وهو العلامة أحمد زكي باشا (٨٦٧ - ١٩٣٤) الذي قدم لنا باكورة المنهج الحديث في تحقيق النصوص، كما كان أول نافخ في بوق إحياء التراث على النهج الحديث».

* * *

دار المعارف:

أما دار المعارف فلم تأخذ دورها في إحياء التراث على التحقيق المعاصر إلا في سنة ١٩٤٢ م حين فكر الأستاذان: عبد السلام هارون، وأحمد شاکر في نشر مجموعات من عيون الشعر سماها «ديوان العرب» وبدءا في نشر المفضليات ثم الأصمعيات، ثم اقترحا على دار المعارف أن تخصص نشرًا منظمًا لعيون التراث العربي، فأصبح ينشر التراث تحت (ذخائر

(١) مقدمة كتابه الدنيا في باريس - سنة ١٩٠٠ - مصر.

العرب) ويشترك في تحقيقه نخبة مختارة من علماء الشرق والغرب.

وكان باكورة ذخائر العرب (بجالس ثعلب) سنة ١٩٤٨ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، وقد قدّمته اللجنة المشرفة على هذه السلسلة آنذاك، والمكونة من الأساتذة: محمد حلمى عيسى، وأحمد أمين، وطه حسين، وعلى الجارم، وعبد الوهاب عزام، وإبراهيم مصطفى، وأحمد شاکر، بكلمة جيدة، أشارت فيها إلى جهود المستشرقين، ثم أبانت عن منهجها القائم على إذاعة التراث العربى كله؛ مشرقية ومغربية، والإفادة من كل العلماء المشتغلين بتحقيق النصوص من عرب وعجم، وكان الكتاب الثانى هو (جمهرة أنساب الغرب) بتحقيق المستشرق الفرنسى ليڤى برثنسال.

وكذلك (إصلاح المنطق) بتحقيق الشيخ أحمد شاکر وعبد السلام هارون، ولا تزال المجموعة فى تزايد ونجاح، وقد طبع منها كتاب: (شرح ديوان المتنبي لأبى العلاء المعرى) (معجز أحمد) رقم ٥٦ ذخائر العرب. بتحقيق ودراسة المؤلف الدكتور عبد المجيد دياب.

تقول دار المعارف: التقت رغبة حضرات المحققين - وهم من أعلام التحقيق - مع رغبة دار المعارف فى ضبط النصوص بالشكل، وفى معارضة النسخ المخطوطة من الكتاب الواحد بعضها ببعض، وعمل الفهارس العلمية والفنية الدقيقة المتنوعة، التى تجعل الانتفاع بالكتاب مطلباً سهل المنال^(١).

وفى سنة ١٣٧٤ هـ أصدرت سلسلة أخرى من عيون التراث سمتها (تراث الإسلام) كان الكتاب الأول فيها تفسير الطبرى بتحقيق أستاذنا الكبير محمود شاکر وقد أصدرت الدار منه ١٦ مجلداً إلى سورة إبراهيم.

* * *

نشاط الطباعة وأثره في التحقيق وإحياء التراث العربي

من المعروف أن الطباعة قديمة جداً، والمشهور أن الصينيين أقدم من طبع على الحجر والخشب المحفور، وذلك أقدم طرق الطباعة، وعثر في آثار بابل على قوالب بارزة الحروف، كان الأكاديون يطبعونها على الآجر وهو لين، فيذكر التاريخ أن الشرقيين هم أسبق الأمم في فن الطباعة وصناعة الورق، ويذكر صاحب تاريخ آداب اللغة العربية: أنه جاء في بعض الآثار ما يستدل منه على أن عرب الأندلس، كانوا يعرفون الطباعة لكنها طباعة على الحجر والخشب^(١).

أما في أوروبا فقد بدأت الطباعة بالألواح الخشبية، وكانت الصفحة المراد طبوعها، تكتب بحروف على لوح من الخشب بعد تسوية سطحه وتنعيمه.

وكان العامل أو الفنان يقوم بحفر أجزاء الخشب الخالية من الكتابة، وفي نهاية هذه المرحلة كانت الحروف تظهر بارزة على اللوحة، فيقوم العامل بتحبيرها، ويضع عليها الورقة التي يراد طبوعها، ويمرر عليها أسطوانة، فتظهر الكتابة واضحة على الورقة^(٢).

ومهما يكن من أمر، فإنه من المعلوم به أن جوهان جنفايش Yohenncon Bich المشهور بجوتنبرج هو أقدم من اخترع صناعة الحروف المتفرقة التي ما زالت بعض المطابع تطبع بها، وهو أول من لجأ إلى المكبس كوسيلة آلية للطبع، بعد أن كانت الورقة توضع على اللوحة الخشبية ويضغط عليها بالفرشاة أو المدلكة^(٣)، ولكن ما هي طبعات جوتنبرج الأولى؟.

يذكر جروليببه أنها عبارة عن أربع أجروميات، ونشرة من اثنتي عشرة صحيفة موجهة ضد الأتراك... وظهر أخيراً قبل ٢٤ أغسطس سنة ١٤٥٦م أول كتاب هام، وهو التوراة المعروفة باسم توراة جوتنبرج^(٤)، ثم شاع اختراع هذه الصناعة في أوروبا وحسنوا فيها، حتى بلغت ما هي عليه الآن.

وكانت المطبوعات الأولى شديدة الشبه بالمخطوطات، «مما دعا بعض الطابعين إلى بيعها على أنها مخطوطة»^(٥).

(٢) راجع تاريخ الكتاب. لجروليببه ٨٦

(١) جورجى زيدان ٤٤/٤

(٣) المرجع السابق ص ٨٨ ويذكر جورجى زيدان أن أول كتاب طبع فيها هو التوراة. وذلك سنة ١٤٥٠م.

(٤) المرجع السابق ص ٩٨ ويمكن للمستزيد أن يرجع إلى معرض الكتاب في دار الكتب المصرية ليرى أوائل المطبوعات.

(٥) خليل صابات - تاريخ الطباعة في الشرق ص ١٣

ويذكر جرولييه أن «الثلاثمائة نسخة المطبوعة من التوراة ذات الاثنتين والأربعين سطراً (توراة جوتنبرج) كانت مطبوعة على ورق الرق حتى يتيسر زخرفته بأحرف الزينة وبالحواشي^(١).

وكان كبار الطباعين يستخدمون العلماء للقيام بتصحيح الكتب، وفي أول الأمر كان أغلبهم من رجال الدين^(٢).

الطباعة العربية في أوروبا:

تذكر المصادر التاريخية أن الطباعة العربية التي ظهرت في أوائل القرن السادس عشر في أوروبا، أول طبعة عربية وأحرفها عربية ظهرت في فانو بإيطاليا بأمر البابا يوليوس الثاني سنة ١٥١٤م، وأول كتاب عربي طبع فيها في تلك السنة كتاب ديني (صلاة السواعي)، ثم (سفر الزبور) سنة ١٥١٦م.

ثم مطبعة البندقية، وفيها طبع (القرآن الكريم) للمرة الأولى.

ثم طبعت أول ترجمة إيطالية للقرآن سنة ١٥٤٧م.

وفي مطبعة روما سنة ١٥٩٣م، طبع قانون ابن سينا في الطب، ومعه المنطق والطبيعات وكتاب النجاة له أيضا.

ثم تعددت المطابع العربية في أوروبا، وطبع فيها مئات من الكتب العربية والشرقية، وأكثرها في لندن، ولييزج، وليدن، وعوتنجن، وروما، وفينا، وبرلين، وبترسبورج. ومن أشهر هذه المطابع الأوربية: مطبعة بريل بمدينة لندن بهولاندا، وهي تشبه في شهرتها مطبعة بولاق في مصر.

بدايات نشر التراث:

في الشرق ظهرت الطباعة العربية في كل من الآستانة، وسوريا ولبنان في القرن الثامن عشر، ففي سوريا طبع الإنجيل، وطائفة من الكتب المسيحية سنة ١٧٠٦م أما تركيا فقد عرفت الطباعة قبل غيرها من بلاد الشرق الأدنى والأقصى، وكان القوم في حالة تردد في طبع كتب الحكمة، واللغة، والتاريخ، والطب، والفلك، التي لم يجرؤ أحد على طبعتها إلا بعد ظهور فتوى شيخ الإسلام عبد الله أفندي ١١٢٩هـ - ١٧١٦م بجواز ذلك، مما عدا الكتب الدينية، والسبب في ذلك أن السلاطين العثمانيين خافوا من أن يعد أصحاب

(١) المرجع السابق ص ١٠٢

(٢) وصف سركيس في كتابه معجم المطبوعات (١٣٠ - ١٣١) تلك الطباعات ويمكن رؤية قانون ابن سينا في أوائل المطبوعات بمعرض دار الكتب المصرية.

الغايات والأغراض إلى الكتب الدينية، فيحرفوها ويشوهوها^(١)، ثم استصدروا فتوى بطبع الكتب الدينية استناداً على «أن الأمور بمقاصدها» ثم تعددت المطابع في الآستانة تطبع كتباً عربية، ومن أشهر مطابعها التي اعتنت بنشر التراث مطبعة الجوائب التي أنشأها أحمد فارس الشدياق، وكذلك، المطبعة العامرة، التي نشرت شرح كافية ابن الحاجب، للرضى سنة ١٢٧٥هـ وصحيح مسلم سنة ١٣٢٩هـ.

وقد ضعفت الطباعة العربية في تركيا، بعد تغلب مصطفى كمال أتاتورك وقضائه على الخلافة العثمانية.

بداية نشر التراث في لبنان:

تلت سوريا وتركيا في ادخال الطباعة: لبنان - وكان من أقدم مطابعه مطبعة بدير قزحيا عام ١٠١٩هـ - ١٦١٠م، وكانت سريانية عربية، وكان اهتمامها بالمطبوعات الدينية^(٢)، ومطبعة الشوير: التي أسسها عبد الله زاخر ١١٤٠هـ - ١٧٣٣م، والروم الأرثوذكس مطبعة القديس جارجيوس في بيروت سنة ١١٦٧هـ - ١٧٥٣م.

وهذه المطابع كانت مطبوعاتها قليلة، وأكثرها دينية، ولم يكن لها أثر يذكر في نشر الثقافة العربية، والمتتبع لقائمة الكتب التي طبعت بتلك المطابع منذ تأسيسها حتى سنة ١٨٣٤م يحكم على أن نشاطها كان ضعيفاً، مما يدل على أن الحالة الفكرية في لبنان لم تكن تدعو إلى الإكثار من المطبوعات، خاصة خلال القرن الثامن عشر، حينما اقتصر إنتاج المطابع على الكتب الدينية.

وأول نهضة جديدة للطباعة بدأت بإنشاء.

المطبعة الأمريكية: التي يقول فيها أحمد عباس الأزهرى:

لله مطبعة بحسن طباعها أحيت عظام الكتب وهى رميم^(٣)

أنشئت هذه المطبعة في مالطة سنة ١٨٢٢م للمبعوثين الأمريكان، ثم نقلت إلى بيروت سنة ١٨٣٤م، وطبعت كثيراً من الكتب المدرسية، وطائفة من كتب الأدب والتاريخ ودواوين من الشعر.

ويمكن اعتبار المطبعة الأمريكية في هذه الفترة من حياتها من أكبر مطابع لبنان إن لم تكن أكبرها جميعاً، وكان نشاطها مضرراً للمثل، وكانت طباعتها أمودجاً يحتذيه أصحاب المطابع في بلاد العروبة.

(١) مع المخطوطات العربية ص ٧٥.

(٢) في كتاب (تاريخ الطباعة في الشرق) صفحة مصورة من كتاب مزامير. مطبعة قزحيا ٣٥

(٣) تاريخ الطباعة ٤٤.

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت:

وفي وقت مبكر من بعد سنة ١٢٦٥هـ = ١٨٤٨م ظهرت جهود الآباء اليسوعيين في بيروت، وكان لها فضل عظيم في نشر أمهات كتب التراث العربي إذ نشر كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصار بتحقيق سعيد الخورى الشرتونى اللبناى سنة ١٨٩٤م، وتهذيب الألفاظ للتبريزى بتحقيق الأب لويس شيخو سنة ١٨٩٥م ويذكر كراتشكو فسكى: أن الأب لويس شيخو طبع ديوان سلامة بن جندل مقابلاً على نسختى الإسكندرية واستانبول، وكانت استانبول هى الأصل^(١).

واستمرت جهودهم في النشر زمناً ليس بالقصير ولا تزال المطبعة إلى وقتنا هذا تمارس نشاطها وتنشر كثيراً من تحقيقات المستشرقين.

المطبعة السورية : لخليل الخورى سنة ١٨٥٧ م
مطبعة المعارف : للبستاني سنة ١٨٦٧ م

نشر التراث في سوريا :

ظهرت الطباعة العربية مبكراً في سوريا، وطبعت الإنجيل وطاقفة من الكتب الدينية سنة ١٧٠٦م ثم تعددت المطابع التى تنشر التراث في دمشق وحلب، وقد ساعد على نشر التراث في القطر الشقيق وجود علماء أثبات من مثل : عبدالقادر بدران (ت١٣٤٦هـ)، وجميل العظم (ت١٣٥٢هـ) ومحمد راغب الطباخ (ت١٣٧٠هـ) ومحمد كرد على (ت١٣٧٢هـ) أما النشر العلمى للتراث، فلم يأخذ صورته الكاملة إلا في مطبوعات المجمع العلمى العربى - الذى سمي فيما بعد بمجمع اللغة العربية، فلقد أخرج هذا المجمع قدراً عظيماً من كتب التراث، المحققة تحقيقاً جيداً، يدور معظمها حول نصوص اللغة، والأدب، وقام نخبة من علماء سوريا الكرام أذكر منهم : محمد كرد على، وعزة حسن، وشكرى فيصل، بنشر الكثير من النصوص المحققة وتعد مجلة المجمع صورة أخرى من صور نشاط السوريين في نشر التراث وغير ذلك من المكتبات الخاصة الكثيرة في دمشق وحلب.

وفي سنة ١٩١٩م أنشئ المجمع العلمى العربى بدمشق، وكان من أعضائه المبرزين أحمد زكى باشا (شيخ العروبة)، وقد قام المجمع الدمشقى بنشر بعض كتب التراث في مجلته نذكر

(٢) انظر تاريخ الطباعة في الشرق ص ٢١ والمراجع المبينة به.

من هذه الكتب: نشوار المحاضرة وبحر العلوم، وديوان الوليد بن زيد. كما قام المجمع بنشر كتب أخرى مستقلة تذكر منها:

رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري، وديوان ابن عنين، والأشورية لابن قتيبة، وديوان علي بن الجهم، وديوان الوأواء الدمشقي، وثلاثة أجزاء من الخريدة في شعراء الشام.

الطباعة في مصر

مطبعة الحملة الفرنسية على مصر:

أما مصر فإن أقدم مطبعة ظهرت فيها، هي مطبعة الحملة الفرنسية التي أحضرها نابليون معه سنة ١٧٩٨ - ١٨٠١م، لطبع المنشورات السياسية والأوامر باللغة العربية، وكانت تعمل وهي على السفينة في عرض البحر.

المطبعة الأهلية: وأطلق على هذه المطبعة اسم (المطبعة الأهلية)، ثم نقلت إلى القاهرة، واستمرت في عملها إلى سنة ١٨٠١م^(١)، حيث تم انسحاب الفرنسيين، ومن أظهر إنتاجها كتاب في الهجاء باللغات: العربية والتركية والفارسية.

وظلت مصر بعد خروج الفرنسيين منها عشرين سنة بلا مطبعة، حتى استقر الأمر لمحمد علي، فأنشأ مطبعة على أنقاض المطبعة الأهلية الفرنسية، وسميت بـ (المطبعة الأهلية) أيضاً. مطبعة بولاق: وفي سنة ١٨٢١م نقلت إلى بولاق فعرفت «بمطبعة بولاق» وعهد بإدارتها إلى نقولا مسابكي السوري، وكان قد بدأ دريسته الفنية على الطباعة في روما زهاء أربع سنوات، ولم يكن فيها حتى سنة ١٢٤٧هـ - ١٨٣١م سوى مصحح واحد، اسمه عبد الوهاب أفندي، ثم زاد العدد، وكان من بينهم السيد شهاب الدين إسماعيل، المصحح الأول بمطبعة بولاق سنة ١٨٣٦م.

وكان محررو مطبعة بولاق من الطلبة الأزهريين، الذين دربوا لذلك تدريباً خاصاً استغرق نحو ست سنوات.

ومن ألمع نظار مطبعة بولاق «حسن حسنى باشا»، الذي بدأ أمره مصححاً وكاتباً بالتركية في الوقائع المصرية سنة ١٨٥١م، ثم عمل في المطبعة إلى أن ولى نظارتها سنة ١٨٨٠م، وهو أول من أنشأ مصنعاً للورق في مصر، إذ كان معظمه قبل ذلك يستورد من إيطاليا، وقد استمرت مطبعة بولاق في عملها أكثر من ٩٠ سنة، لم تترك في أثنائها إلا بضع سنوات في الفترة التي انقضت بين عهد محمد علي وإسماعيل.

(١) انظر النموذج من طباعتها ص ١٣٢ من كتاب تاريخ الطباعة.

وتعتبر هذه المطبعة أهم المطابع العربية جميعاً وأبعدها أثراً في نشر التراث العربي، والثقافة العربية فأقدمت على نشر الموسوعات الضخمة من مثل : لسان العرب لابن منظور، وتفسير الطبري، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، والأغانى لأبي الفرج الأصفهاني، والكتاب لسبويه، والأم للإمام الشافعي. ومنهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، والصاحح للجوهري، والقاموس المحيط، للفيلسوف لبادي، وشرح الحماسية للتبريزي، وشرح مقامات الحريري للشريشي. ومعاهد التنصيص، للعباسي، وألف ليلة وليلة، وصبح الأعشى للقلقشندي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ونفح الطيب.

وهذه موسوعات يتعد عنها الناشرون اليوم لما تطلبه من نفقات باهظة، مع تقدم صناعة الطباعة، واستخدامها للألكترونيات. وقد عثت هذه المطبعة بنشر الكتب المترجمة أيضاً إلى العربية في أنواع العلوم: كالطب، والهندسة، والرياضيات، والعلوم الحربية.

وما تزال تحتفظ لنفسها بهذه المكائنة حتى اليوم، فهي أكبر مطبعة عربية في العالم العربي دون استثناء^(١)، ولو أنها في السنين الأخيرة تراجعت عن رسالتها الأدبية، وأخذت تعنى بالكتب المدرسية، وحاجات الدولة من اللوائح والقوانين.

ومما لا شك فيه أن مطبعة بولاق قد غدّت عقول جماعة من تلامذة الشيخ حسين المرصفي (١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م)، والبارودي، رائد النهضة الشعرية، وذلك حين وضعت أمامهم زاداً شهياً من التراث العربي.

وهذه المطبعة هي نواة المطبعة التي عرفت منذ عهد قديم باسم «المطبعة الأميرية» . أما المطابع غير الأميرية فلم تظهر إلا بعد مضي نحو أربعين سنة من إنشاء مطبعة بولاق، وأولها:

المطبعة الأهلية القبطية: التي عرفت فيما بعد «بمطبعة الوطن» أنشئت سنة ١٨٦٠م ومطبعة وادي النيل: سنة ١٨٦٦م وظهرت كذلك مطابع عربية أخرى في بلاد غير عربية، منها مطابع كلكتا ومبباي، ودلهي، ولاهور، وحيدر أباد في الهند، وكان لهذه الأخيرة فضل كبير في نشر موسوعات من التراث العربي.

هذه نظرة خاطفة إلى تاريخ الطباعة العربية في عصورها الأولى، أما في العصر الحديث، فإن الحصر لا يحيط بعددها، خاصة في بيروت بلد الطباعة اليوم.

(١) يمكن للمزيد أن يرجع إلى فهرس أوائل المطبوعات، في دار الكتب المصرية؛ ليرى نتائج هذه المطبعة - وقد أعد هذا الفهرس المرحوم جمال الشوربجي.

هذه كانت المطابع فما جهود هذه المطابع المعاصرة في نشر التراث - هذا ما سنتناوله فيما يأتي:

* * *

الخانجي :

من الجدير بالشكران والوفاء، وله يد طولى في ميدان تحقيق التراث ونشره: المرحوم محمد أمين الخانجي المولود في حلب (١٨٦٥ - ١٩٣٩م) وتعلم بها، ثم عمل كاتباً في ديوان ولايتها، واشتغل في صباه بنسخ المخطوطات فأحبها وأولع بها، وانتقل إلى القاهرة وهو في العشرين من عمره، فأنشأ فيها (مكتبة الخانجي) وكان من العلماء العارفين لقيمة المخطوطات، الذين عملوا على إذاعة التراث العربي ونشره، وفيه يقول الأستاذ أحمد شاعر: وقل أن تجد عالماً أو أديباً في زمنه لم يكن لهذا الرجل النحيل الضئيل فضل عليه، يذكره الذاكر محسناً في ذكره، وينساه الناسي مسيئاً في نسيانه^(١). ذلك هو محمد أمين الخانجي الذي أحب الكتاب العربي كأنه تراث أبيه وأمه، زار العراق وتركيا باحثاً عن نواذر المخطوطات، فجمع منها عدداً كثيراً، نشر منها ما نشر، وأتاح كثيراً منها لمحبى العلم.

ويشهد له كل من عرفه من المحققين المعاصرين، ويعرف فيه الإخلاص للعلم وحده، إذ لم يكن المال عنده إلا في المرتبة الثانية، ولقد قدم إلى قارئ العربية مجموعة من كتب التراث، يكفي أن نذكر منها: معجم البلدان، وذيله عليه، الذى سماه (منجم العمران)، وكذلك حلية الأولياء لأبي نعيم، وبدائع الصنائع في سبع مجلدات، والإصابة لابن حجر في ثمانى مجلدات، والعقد الفريد ولزوميات أبي العلاء، وجواهر الألفاظ لقدامه بن جعفر وتيسير الوصول للشيباني. وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وقد نشر رحمه الله (٣٧٨) كتاباً ورسالة على ما ذكر الزركلى في أعلامه ٤٤/٦

ومن المعروف عنه أنه كان يرحل إلى البلدان العربية، ويعود منها حاملاً المخطوطات النادرة التي لاتقدر بثمن، وكان له دور مبكر في منهج نشر الكتب وترقيمها، واختيار الصالح منها للنشر، وكان يعاونه في هذا العمل ابنه محمد نجيب الخانجي^(٢) فورث عنه الرغبة الملحة في إحياء التراث عن صدق، واليوم حمل الرسالة عنها حفيده محمد محمد الخانجي، فمنهج نهج أبيه وجدّه في المساهمة في حركة إحياء التراث العربي ونشره، وهو المرجو للخير كله في التراث، وكان من توفيق الله له بعد وفاة والده، أن أكمل طبع (خزانة الأدب) للبغدادى

(١) مقدمة طبقات فحول الشعراء لابن سلام بتحقيق أحمد شاعر.

(٢) من منشوراته المحققة: البيان والتبيين للجاحظ، والاشتقاق لابن دريد، ورسائل الجاحظ، ونواذر المخطوطات، وصون المنطق، وطبقات الصوفية، إل غير ذلك الكثير.

بتحقيق شيخنا المرحوم عبدالسلام هارون، والذي وقفت به الهيئة العامة للكتاب عند تمام الجزء السابع، وقد أكمل طبع الكتاب بفهارسه فبلغت ثلاثة عشر جزءاً.

مطبعة الحلبي:

وفي سنة ١٢٧٦ هـ - ١٨٥٩ م أسس أحمد البابي الحلبي النواة الأولى لمؤسسة دار إحياء الكتب العربية المكتبة الميمنية: أنشأها السيد أحمد البابي الحلبي المتوفى سنة ١٨٩٩ م وتاريخ إنشائها ١٨٥٨، أى منذ أكثر من مائة عام، وكان منشئ هذه المكتبة عالماً فاضلاً له تقارير على حاشية الشجاعى على شرح القطر لابن هشام، وهو عم مصطفى، وعيسى، وبكرى، البابي الحلبي. وقد نشر طائفة من كتب التراث.

دار الكتب العربية الكبرى:

وبعد وفاته استمرت المكتبة باسم (دار الكتب العربية الكبرى)، وتولى إدارتها أبناء أخيه: مصطفى وعيسى، وبكرى، وقتاً طويلاً، وظلت الدار واحدة حتى تفرعت في سنة ١٩٢٨ م إلى فرعين عرف أحدهما باسم (مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده)، والآخر باسم (دار إحياء الكتب العربية) بإدارة عيسى البابي الحلبي.

ولكل منها مطبعة خاصة، والأولى منها مطبعة (عيسى البابي الحلبي) وتوجد بشارع خان جعفر، بمنطقة خان الخليلي، ومطبعة (مصطفى البابي الحلبي) عند نهاية منطقة الدراسة بالقرب من دير الآباء الدومنيكان، وظلت أولى هاتين المطبعتين تؤدي رسالتها متطورة مع الزمن مسيرة لمقتضيات النمو والتدرج، واختصت بطبع الكتب العلمية، والدينية، والأدبية، وفي أوائل القرن العشرين خطت خطوات نحو التحقيق العلمي، فهدت إلى فئة كريمة من المعروفين بالتحقيق في هذا العصر بتحقيق عدة كتب نذكر منها:

البرهان في علوم القرآن للزركشى، وأحكام القرآن لابن العربي، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، والشعر والشعراء لابن قتيبة، وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضى، والفاائق للزمخشري، والوساطة بين المنتبى وخصومه للجرجاني، والصناعتين لأبى هلال العسكري، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ومقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهاني، وزهر الآداب للحصرى، والوزراء للصايب، إلى غير ذلك.

المطبعة السلفية:

وفي القاهرة اشترك محب الدين الخطيب المولود في دمشق سنة ١٣٠٣ - ١٨٨٦ م وأكمل تعليمه بها وبالآستانة، وهو من كبار الكتاب المسلمين المجاهدين، استقر في القاهرة سنة ١٩٢٠ م وشارك عبد الفتاح قتلان سنة ١٩٢٠ م في إنشاء المطبعة السلفية ومكتبتها:

ثم استقل بها محب الدين الخطيب ونشر كثيراً من كتب السلف نذكر منها: أدب الكاتب لابن قتيبة سنة ١٩٢٧، ويذكر أستاذنا المرحوم عبدالسلام هارون، أنه اشترك في إخراجه وتلمذ على محب الدين الخطيب في ذلك الوقت الذي كان فيه طالباً في تجهيزية دار العلوم، فيقول عن محب الدين الخطيب: «فهو كان أستاذاً في ذلك»^(١) وما نشره الأستاذ محب الدين الخطيب، كتاب الميسر والقداح لابن قتيبة، وصنع له فهارس فنية في هذا الوقت المبكر، وكذلك كتاب الموشح للمرزباني، ونشر كذلك كتاب الملاحن لابن دريد، والأربعة أجزاء الأولى من خزانة الأدب للبغدادي، بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون وإضافة تعليقات لأحمد تيمور وعبد العزيز الميمنى. ومن أوسع ما نشر محب الدين الخطيب كتاب (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) لابن حجر العسقلانى، الذى طبع من قبل مطبعة بولاق وصدرت الطبعة السلفية سنة ١٣٧٩ هـ وذكر أنه قابل المجلد الأول على طبعة بولاق وعلى نسختين خطيتين، ثم علق على ما وجده من أخطاء للشارح. لا يحسن السكوت عنها.

جامعة القاهرة :

وقد اشتركت جامعة القاهرة ببعض الجهود نذكر من ذلك: نشرها لكتاب الذخيرة في الطب لثابت بن قرة سنة ١٩٢٨م بتحقيق جورجى صبحى، ومنتخب جامع المفردات للفاقى بتحقيق ماكس ماير هوقس، الطبيب الألمانى المستشرق، المتوفى بالقاهرة سنة ١٩٥٤، وجورج صبحى سنة ١٩٣٢، ونقد النثر^(٢) المنسوب لقدامة بن جعفر، بتحقيق طه حسين وعبد الحميد العبادى سنة ١٩٣٣، ورسائل فلسفية للرازى، بتحقيق بول كراوس المستشرق الألمانى المتوفى بمصر منتحراً سنة ١٩٤٨، وقد نشرت سنة ١٩٣٨ وبعض أجزاء من الذخيرة لابن بسام (ثلاثة أجزاء) بتحقيق: عبده عزام، وعبد العزيز الأهوانى، وخلييل عساكر، وعبد القادر القط، وإشراف الدكتور طه حسين من سنة ١٩٣٩-١٩٤٥م وما يزال الدكتور لطفى عبد البديع يوالى تحقيقها استكمالاً لما قام به سابقوه وذلك فى مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية^(٣). وكذلك نشرت جامعة القاهرة كتاب الأصل للإمام محمد بن الحسن الشيبانى بتحقيق محمد شفيق شحاته سنة ١٩٥٤ وبعض السير الكبير له، بتحقيق الشيخ محمد أبو زهرة والدكتور مصطفى زيد سنة ١٩٥٨.

(١) عبد السلام هارون: إحياء التراث وما تم فيه - بحث فى مجلة المجلة عدد ١١٤ يونيو سنة ١٩٦٦.
 (٢) ظهر أن هذا الكتاب هو كتاب (البرهان فى وجوه البيان) لابن وهب كما أثبت محققه الدكتور أحمد مطلوب، وزوجته الدكتورة خديجة الحديشى، ونشر بهذه النسبة الصحيحة فى بغداد سنة ١٩٦٧. وقد نشرت مجلة الرسالة قبل ذلك مقالا للأستاذ محمد إسماعيل الصاوى ينقد فيه نشرة الدكتور طه حسين ويقول فيه: نقد النثر المنسوب لقدامة ليس لقدامة.
 (٣) توقف الدكتور لطفى عبد البديع بعد فترة من الزمن عن العمل فى هذا الكتاب لسفره إلى المملكة العربية السعودية ولم يخرج شيئاً من عمله ١١

ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامى (جزءان) - لـ زامباور المستشرق. بإشراف عالم الآثار الإسلامية الدكتور زكى محمد حسن، عميد كلية الآداب، المتوفى سنة ١٩٥٧.

وقد تأثرت مطبوعات جامعة القاهرة بمنهج المستشرقين، من حيث الاكتفاء بتأدية النص أداءً صحيحاً، وذكر فروق النسخ، وتقديم الكتاب وفهرسته، لا يزيدون ولا ينقصون، وقد كان هذا طبيعياً لأن الذين انتدبوا للتدريس في الجامعة، في ذلك الزمان كانوا من المستشرقين وقد فتر نشاط الجامعة في نشر التراث بعد تلك الحقبة.

وشاءت جامعة الدول العربية - في رسالتها الثقافية - أن تنشئ قسماً لجمع ما يمكن جمعه من صور المخطوطات القيمة، وفهرسة المكتبات العامة والخاصة، ونشر فهراسها، وفي ذلك هداية للباحثين وتيسيراً على الدارسين، وكان ذلك في :

معهد إحياء المخطوطات العربية:

وقد بدأ هذا المعهد كقسم من أقسام الجامعة العربية عام ١٩٤٧ واستمر ينمو على مر الزمن، وأصبح اليوم معهداً للمخطوطات العربية، له مكتبته، ومجلته، ومطبوعاته، ونشرته التي يصدرها منذ عام ١٩٧١م باسم (أخبار التراث) وتصدر كل خمسة عشر يوماً، واستطاع هذا المعهد في نحو خمسة وعشرين عاماً، أن يرسل عشرات البعثات إلى سوريا، وتركيا، والهند ولبنان، والمملكة العربية السعودية، وتونس، والجزائر، ومراكش، وإسبانيا، وليبيا، وغير ذلك من بلدان العالم العربي والغربي، وأحرز صوراً لمخطوطات قيمة، وتصعد ذخيرته إلى نحو خمسين ألف مخطوط: مصور وميكرو فيلم، ولا يتردد في أن - يمكن الباحثين من الاطلاع عليها أو الحصول على نسخ مكبّرة منها، وقد يعيرها لبعض المؤسسات العلمية، وهو جاد في تبويبها وفهرستها، وأخرج بالفعل قدراً كبيراً من فهرسه، ويحاول أن ينشر ما لا يقوى الأفراد على نشره، وقد أخرج أجزاء من سير أعلام النبلاء، للذهبي، والسير الكبير للشيباني، والمحكم لابن سيده. وتلك - ولا شك - مساهمة كبرى في نشر التراث العربي وتحقيقه، وإنا لنرجو لهذا المعهد أن يؤيد رسالته ويعزز نشاطه، هذا فضلاً عما ينشر محققاً من التراث العربي في مجلة المعهد. الذى صدر العدد الأول منها في شهر رمضان ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م وكان معهد المخطوطات في سنواته كلها شعلة نشاط وخليّة نحل ومنازة علم.

وقد جاء في العدد التاسع عشر، من نشرة أخبار التراث العربي التي يصدرها المعهد، أنه بحث في المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم شؤون معهد المخطوطات في مؤتمره الذى عقد بالقاهرة خلال المدة من ٤ إلى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٧١م، واتخذ توصيات

بشأن إدخال التحقيق العلمى للمخطوطات ضمن المنهج الدراسى فى مرحلة التعليم الجامعى وأبلغ المعهد هذه التوصية إلى الدول العربية، وكانت الجمهورية العربية السورية أول دولة عربية تنفذ هذه التوصية بناء على بحث المجلس الأعلى للجامعات فى الجمهورية العربية السورية فى جلسته المنعقدة فى ١٥ و ١٦/٣/١٩٧٢.

مجمع اللغة العربية:

أما مجمع اللغة العربية فى مصر فقد نصت المادة الثالثة من مرسوم إنشائه، على أن ينشر على الطريقة العلمية من النصوص القديمة ما يراه لازماً لأعمال المعاجم وفقه اللغة، ولم تظهر له جهود كبيرة - منذ إنشائه سنة ١٩٣٢ م - فى إحياء التراث. اللهم إلا بعض اقتراحات نفذ بعضها فى خارج المجمع منها: إعراب القرآن المنسوب للزجاج، وتهذيب اللغة للأزهري، ومحاولة أخرى فريدة لتشجيع إحياء التراث إذ أعلن فى سنة ١٩٤٩ عن مسابقة أدبية لمحققى التراث ظفر فيها الأستاذ عبد السلام هارون بالجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى عن كتابى الحيوان للجاحظ ومجالس ثعلب، كما ظفر كتابان آخران بالجائزة الثانية هما: رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى بتحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن، وكتاب البخلاء للجاحظ بتحقيق الدكتور طه الحاجرى.

وفى السنوات الأخيرة حصل عليها الدكتور عبد المجيد قطامش عن تحقيق كتاب الأمثال. والمجمع يعلن عن هذه المسابقة كل عام حتى يومنا هذا، ويتقدم لها بعض المحققين. يذكر الدكتور مذكور أنه: «بقى إحياء التراث فيه حتى الآن (سنة ١٩٦٦) مهملاً. وبين محرريه من تفرسوا زمناً طويلاً بتحقيق المعاجم وكتب اللغة وأخرجوا منها قدرًا غير قليل فى ربع القرن الأخير»^(١) من الكتب التى صدرت مؤخرًا عن مجمع اللغة العربية: عجالة المبتدى وفضالة المنتهى، للحازمى. والقلب والابدال، لابن السكيت، والتكملة والذيل والصلة، للصاغانى. وديوان الأدب للفارابى. والصلة، للزبيدى. والشوارد، للصاغانى. وكتاب الجيم، لأبى عمرو الشيبانى والأفعال، للسرقسطى. ويباشر المجمع فى الآونة الأخيرة استكمال طبع كتاب «غريب الحديث» لابن سلام.

لجنة التأليف والترجمة:

وفى مصر ألفت لجنة التأليف والترجمة ١٩١٤ وكان نواتها طائفة من مدرسة المعلمين ومدرسة الحقوق، يقول فيهم أحمد أمين:

طائفة من الشبان تمتلئ نفوسهم غيرة على العالم الإسلامى ويطيلون التفكير فى وسائل

(١) مجمع اللغة فى ثلاثين عاماً من ٣٢ - ١٩٦٢ ص ١٠٦ ط القاهرة سنة ١٩٦٤.

إصلاحه والنهوض به، ألف بين أفرادها الشعور بالألم من موقف الشرق وخموله، والإيمان بوجود العمل على تنبيهه والأخذ بيده ورفع مستواه^(١).

نذكر من بين أعلامها أمين مرسى قنديل^(٢)، وعبد الحميد العبادي^(٣)، ومحمد بدران^(٤)، ومحمد صبرى أبو علم^(٥) ومحمد عوض محمد^(٦). وكان كل عضو منهم يسهم بعشرة قروش في كل شهر، ثم جعل ثمن السهم جنيتها واحدا. وتولى رياستها الأستاذ أحمد أمين فظهر نشاطها في إحياء التراث، ونشرت: السلوك للمقرئى بتحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة سنة ١٩٣٤م ثم المختار من شعر بشار للخالدين، وغيره من نفائس التراث، كالعقد الفريد بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبيارى، ومعجم ما استعجم للبكرى بتحقيق مصطفى السقا، وشرح الحماسة للمرزوقى، والروضتين لابن أبى شامة بتحقيق الدكتور محمد حلمى، وديوان سراقه البارقى، بتحقيق حسين نصار، وكان وقتها حديث التخرج من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٧ ولعل تحقيق هذا الديوان أول أعمال الدكتور حسين نصار العلمية، وخريدة القصر للعماد الأصفهاني (قسم شعراء مصر) بتحقيق أحمد أمين وشوقى ضيف وإحسان عباس سنة ١٩٥١م ولعل هذا أيضا أول أعمال الدكتور إحسان عباس، وفي هذه السنوات توقف نشاطها تماما.

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب:

ويساهم المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب (المجلس الأعلى للثقافة) في نشر التراث الأدبي المحقق تحقيقا علميا (المكتبة العربية) وقد أعاد نشر بعض الكتب التي حققت بمعرفة القسم الأدبي في دار الكتب مثل شروح سقط الزند، وتعريف القدماء بأبى العلاء، وديوان زهير بن أبى سلمى، وديوان الهذليين، والأصنام لابن الكلبي، وغيرهم، وفي سنة ١٩٧٠ منح جائزة تشجيعية في منهج التحقيق للدكتور محمد رشاد سالم، لتحقيقه كتاب جامع الرسائل لابن تيمية. ونشر بعض النصوص التراثية المجازة جامعيًا، ومن ذلك: شعر الأحوص، جمع وتحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، وديوان ابن سناء الملك الذى حققه الأستاذ إبراهيم نصر.

(١) كتاب لجنة التأليف والترجمة والنشر في عشرين عاما، أصدرته اللجنة سنة ١٩٣٤.

(٢) كان رئيسا لدار الكتب المصرية

(٣) المؤرخ المعروف، وعضو مجمع اللغة العربية بمصر ودمشق وعميد كلية آداب اسكندرية. توفى سنة ١٩٥٦

(٤) مترجم الموسوعة الكبيرة (قصة الحضارة) وهو من خريجي مدرسة المعلمين العليا

(٥) كان من الكتاب المترسلين، وأحد كبار رجال القانون الذى تولوا وزارة العدل توفى سنة ١٩٤٧.

(٦) عالم الجغرافيا الكبير، وكان من أعضاء مجمع اللغة العربية، وولى وزارة المعارف، ثم صار مستشارا بهيئة اليونسكو. توفى

سنة ١٩٧٢.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية :

وتسهم لجنة إحياء التراث الإسلامى، التابعة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بنشر طائفة من كتب التراث نشرًا علمياً.

وقد قام هذا المجلس - تابعاً لوزارة الأوقاف المصرية - في نحو سنة ١٣٨٠ هـ وقد بدأ بداية طيبة، حيث وجهت أعماله لجنة من كبار علماء المخطوطات وخبراء التراث، منهم شيخنا الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، والشيخ أبو الوفا المراغى (مدير المكتبة الأزهرية) والأستاذ فؤاد سيد عالم نُسَخ المخطوطات المشهور (أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية ورئيس قسم الإرشاد بها) والأستاذ محمد رشاد عبد المطلب عالم نُسَخ المخطوطات أيضاً (بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية).

وقد أصدر المجلس طائفة من عيون التراث منها: تحرير التعبير لابن أبى أصيبعة المصرى وموطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيبانى، والمنازل والديار، لأسامة بن منقذ، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب. لعبد الواحد المراكشى. والمحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات لابن جنى. وما ينصرف وما لا ينصرف، لأبى إسحاق الزجاج. وبصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز بادی. والحماسة البصرية، لصدر الدين البصرى. وإنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلانى، والطبقات السنية في تراجم الحنفية، لتقى الدين التميمى. والمذكر والمؤنث، لابن الأنبارى.

ومن أنفس ما أخرج المجلس: الكتاب المقتضب، لأبى العباس المبرد (أربعة أجزاء مع مقدمة نفيسة عن حياة المبرد وآثاره وآرائه النحوية) ولعل هذا الكتاب هو خير الكتب التى عرفت القراء والباحثين بعالم جليل فى النحو والصرف هو الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة، وكان من قبل متوارياً لا يعرفه إلا القلة من أبناء الأزهر، وهو صاحب كتاب (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) المطبوع فى جامعة الإمام محمد بن سعود بالملكة العربية السعودية، وهو أحسن الكتب التى عملت فى نحو القرآن وتوجيه قراءاته، وقد عصفت بهذا المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عواصف جمدت نشاطه، ولا يزال المخلصون ينفخون فيه!

ودبت فيه الروح فى هذه الآونة فأخرج: سبيل الهدى والرشاد، والمعلم بفوائد مسلم، والوجوه للنظائر، للدماغانى، والوسيط، للواحدى.. وغير ذلك من أمهات كتب التفسير والحديث وغيرها.

إدارة إحياء التراث بوزارة التربية والتعليم :

قامت إدارة لإحياء التراث فى وزارة التربية والتعليم ومنذ إنشاء هذه الإدارة فى

سنة ١٩٤٦ قامت بنشر ديوان أسامة بن منقذ، ورفع الإصر لابن حجر، وتحفة القادم، والأيام والليالي والشهور للقراء.

إدارة إحياء التراث بوزارة الثقافة:

وفي سنة ١٩٥٧ ضمت الإدارة السابقة إلى الإدارة التي أنشئت بوزارة الثقافة والإرشاد وسميت بـ (الإدارة الثقافية) وقامت بنشر بعض الكتب نذكر منها، الشفاء لابن سينا، وطيف الخيال للشريف المرتضى، والفاخر للمفضل بن سلمة، والمسلسل في غريب اللغة لأبي الطيب اللغوى، والمعارف لابن قتيبة. وذلك في سلسلة (تراثنا) وقامت بتيسير بعض كتب التراث.

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة:

ثم ضمت الإدارة السابقة إلى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ونذكر فيما نشرته في ذلك الوقت: إعادة طبع الكتب الآتية مصورا على نسخة دار الكتب المصرية: الأغاني، نهاية الأرب، صبح الأعشى، عيون الأخبار، النجوم الزاهرة، ونشرت ديوان إسماعيل صبرى (أبوأميمة) وكتاب الروضتين (القسم الثانى) والقول المقتضب، والمغنى فى أبواب التوحيد والعدل للقاضى عبدالجبار، ومفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، وغير ذلك.

الدار المصرية للتأليف والترجمة:

ثم انتقلت إلى الدار المصرية للتأليف والترجمة وخصصت إدارة فيها لإحياء التراث كان من منشوراتها: مختار الأغاني، التهذيب للأزهري، وتبصير المنتبه، لابن حجر وبقية المغنى للقاضى عبد الجبار، معانى القرآن للقراء جـ ٢، والحجة فى القراءات السبع لأبى على الفارسى جـ ١ والمكتبة الأندلسية إلى غير ذلك.

دار الكاتب العربى:

ثم انتقلت إلى الهيئة العامة للتأليف والنشر، ثم إلى دار الكاتب العربى، ونشرت الأجزاء الأربعة الأولى من خزانة الأدب للبغدادى بتحقيق عبد السلام هارون، وغاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، ونفاضة الجراب لابن الخطيب.

الهيئة المصرية العامة للكتاب:

ثم إلى الهيئة المصرية العامة للكتاب وتضم دار الكتب المصرية، والهيئة العامة للتأليف والنشر السابقة، والدار القومية للطباعة والنشر، وكان ضمن منشوراتها الأخيرة ديوان ابن الرومى، ٦ أجزاء، بتحقيق بعض الباحثين ومراجعة الدكتور حسين نصار، ولزوميات أبى

العلاء، وربيح الأبرار، للزمخشري بتحقيق الدكتور عبد المجيد دياب، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، بتحقيق الدكتور رشاد سالم، وكتاب المنهل الصافي، لابن تغرى بردى. وعقد الجمان، للعيني. ونزهة النفوس والأبدان، للصيرفي. وغير ذلك الكثير.

دار الجمهورية ودار الشعب:

في مصر أيضاً قامت دار الجمهورية ودار الشعب بنشر بعض كتب التراث، في طبعات شعبية، وهو مجهود يشكرون عليه وإن كان لايساير أصول التحقيق العلمي ولا ينكر فضلها، نذكر من منشوراتها: صحيح البخارى، وصحيح مسلم، ومقدمة ابن خلدون، وأساس البلاغة، وحياة الحيوان للدميرى، وغير ذلك. ولكن هذه المجهودات كلها محتاجة إلى رقابة علمية صارمة.

المعهد العلمى الفرنسى بمصر:

قام المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة بنشر كثير من الكتب المحققة نذكر منها: جامع ابن وهب، والجمانة فى إزالة السرطانة، وطبقات الحكماء لابن جليل، وخطط المقرئى، ونشر المعهد نفسه فى دمشق تعبير الرؤيا لحنين ابن إسحاق، وكتاب التوابين لأبى قدامة المقدسى، والمعتمد فى أصول الفقه لأبى محمد بن على البصرى المعتزلى، وزبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم وكثير غيرها.



ولعله من الملاحظ أنه لم يرسم لنشر التراث العربى خطة ولم تحدد فيه أولويات، وإنما ينشر كل ما يروقه. وهو تراث طويل عريض متعدد الألوان والأبواب، ويظهر أن النصوص الأدبية واللغوية كانت أكثر حظاً من غيرها، وتليها النصوص التاريخية والتراجم، ونشر شيء فى الفقه، والحديث، والكلام، والتصوف، والعلم والفلسفة.

هذا وقد ظهرت جهود فردية فى نشر التراث على منهج علمى مقارب نذكر من هؤلاء الأفراد:

فرج الله زكى الكردى:

الذى أنشأ مطبعة سماها « كردستان العلمية » بدأت نشاطها سنة ١٩١١ ونشرت طائفة من كتب التراث منها تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.

محمد منير الدمشقى:

وهو دمشقى . تعلم فى الأزهر الشريف، وأصبح من علمائه، فأنشأ دار الطباعة المنيرية فى القاهرة سنة ١٣٣٧هـ ونشر بها كثيراً من كتب التراث نذكر منها: عمدة القارئ فى شرح

البخارى للعيني، وتفسير الألوسي، والكامل لابن الأثير، والمحلى لابن حزم، وشرح المفصل لابن يعيش، ونيل الأوطار للشوكاني، وغير ذلك. توفي رحمه الله سنة ١٩٤٨ م

حسام الدين القدسي:

ولد في دمشق سنة ١٩٠٣ م وكان يحمل إجازة اللسان من جامعة دمشق سنة ١٩٢٧ ثم نزل القاهرة، ومن عجيب أمره أنه كان ينسخ الكتاب بقلمه، ثم يجمع حروفه الطباعية بنفسه ويتولى تصحيحها بيده. وهو ناشراً وألّى نشاطه في إحياء التراث على وجه قريب من السلامة، بمطبعة السعادة الكائنة بجوار محافظة القاهرة بميدان باب الخلق. وقد أخرج من تاريخ الإسلام للذهبي خمسة أجزاء، واليوم حمل الراية عنه في نشر هذا الكتاب مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية وبعد هذا الكتاب للطبع. وللأسف حتى يومنا هذا لم يقدم منه إلا الجزء الأول بتحقيق الدكتور محمد عبد الهادي شعيره وعدل إلى غيره من الكتب. ومن مطبوعات حسام القدسي القديمة: البحر المحيط، لأبي حيان الغرناطي سنة ١٣٢٩ هـ وكثير من تحقيقات الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، خرجت من هذه المطبعة.

الشيخ محمد حامد الفقي:

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية، وحامل لواء السلفية بمصر أنشأ مطبعة السنة المحمدية، ونشر فيها كثيراً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، وكتب الحنابلة، وطبقات رجالها، وقد لقي عوناً ظاهراً من حكومة المملكة العربية السعودية، ومن علمائها الأفاضل من أمثال: الشيخ محمد نصيف، والشيخ محمد سرور الصبان، يرسمهم الله. ومن الموسوعات التي نشرها الشيخ الفقي: كتاب (جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ) لمجد الدين بن الأثير، نشر بمشاركة الشيخ عبد المجيد سليم، شيخ الأزهر سنة ١٩٤٩ م في اثني عشر جزءاً.

وشرع قبيل وفاته في نشر كتاب (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) لتقى الدين الفاسي، على نفقة الشيخ محمد سرور الصبان وأتم تحقيقه المرحوم فؤاد سيد، وحقق الجزء الثامن منه الأستاذ الدكتور محمود الطناحي سنة ١٩٦٩ م.

وكانت وفاة الشيخ محمد الفقي سنة ١٩٥٩ م، ولا تزال مطبعة السنة المحمدية قائمة بأرض شريف، بين شارعي محمد علي، وعبد العزيز، ويقوم عليها أحفاده، لكن ليست لهم عناية بكتب التراث.

إسماعيل عبيد:

وفي ختام حديثي عن تاريخ نشر التراث في مصر، أجد لزاماً عليّ أن أقف عند دار من دور نشر التراث في مصر هي (دار العروبة) وكان بدايتها (لجنة الشباب المسلم) التي تكونت من بعض شباب الإخوان المسلمين^(١) سنة ١٩٥١ واتخذت مكتبة لها بسكة راتب بالحلمية الجديدة، أمام المركز العام للإخوان المسلمين. وكان أعضاؤها: محمد رشاد سالم^(٢)، وعبد الحليم محمد أحمد^(٣)، وأحمد البساطي وعبد النافع السباعي، وعبد العزيز السيبي. وانضم إليهم بعد ذلك أحمد كمال أبو المجد^(٤)، وجمال الدين عطيه^(٥)، وأدار مكتبتهما: إسماعيل عبيد، صاحب مكتبة (دار التراث) القائمة الآن بشارع الجمهورية بمصر.

وكان يوجه اللجنة فكريا شيخ العربية: محمود شاكر، وشارك في نشاط اللجنة بتحقيق بعض الكتب نذكر منها: رسالة الصلاة، للإمام أحمد بن حنبل. وجمهرة نسب قريش للزبير بن بكار، ونشرت اللجنة: شرح أشعار الهذليين، لأبي سعيد السكري، بتحقيق المرحوم عبد الستار فراج ومراجعة الأستاذ محمود شاكر، وديوان عبد الله بن الدمينه بتحقيق أحمد راتب النفاخ، وديوان قيس بن الخطيم بتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، وكتاب إيضاح علل النحو، للزجاجي، بتحقيق الدكتور مازن المبارك، وكتاب حذف من نسب قريش، لمؤرج السدوسي، بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

أمين هندية:

أحد الوراقين القدامى الذين كانوا يورقون لأحمد زكي باشا (شيخ العروبة وصاحب المكتبة الزكية الملحقه بدار الكتب المصرية) ويقول أحمد زكي عن أمين هندية هذا عندما سئل: كيف أوجد زكي باشا خزانه كتبه؟ فقال: «شُغِفْتُ وهَمَّتْ بها، ولا هيام قيس بليلاه، فكنت كل أسبوع على التقريب، أمرّ بالكتبي المشهور أمين أفندي هندية، وأشترى منه ما تيسر من الكتب، وكان يرشدني إلى طريفها ونفيسها»^(٦) وهو الذي أنشأ مطبعة هندية بالموسكى، ومن منشوراتها: كتاب نظام الغريب للربيعي اليمني المتوفى سنة ٤٨٠ هـ، نشر

(١) هؤلاء الشباب من الإخوان المسلمين الذين كانوا يؤمنون بالجانب الفكري والتربوي في الإسلام، وعدم التركيز على الجانب العسكري، مع إيمانهم العميق بوجود الجهاد لإعلاء كلمة الله.

(٢) حصل على الجنسية السعودية وعمل بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض وحصل على جائزة الملك فيصل

(٣) أحد الذين توفروا على استخراج فكر ابن تيمية، وإبراز كوزه، وخرج له جزء من (منهاج السنة النبوية) وصاحب مكتبة دار القلم بالكويت.

(٤) من كبار المشتغلين بقضايا الإسلام، وقد تولى الوزارة بمصر في الستينيات الميلادية، وهو الآن أستاذ متفرغ أمد الله في

عمره.

(٥) أحد رجال الاقتصاد الإسلامي ويشرف على أحد البنوك الإسلامية في لكسمبورج.

(٦) مجلة مصر الحديثة: كيف أوجد زكي باشا خزانه كتبه.

سنة ١٩١٢م، وكتاب شرح غريب السيرة النبوية لابن هشام تأليف أبي ذرّ الحخشني سنة ١٣٢٩هـ وقد قام على العناية بتصحيح هذين الكتابين المستشرق الألماني الدكتور بولس برونلد، وبعاد الآن سنة ١٩٨٩م طبع الكتاب الثاني منها في بيروت، ومن مطبوعات مطبعة هندية أيضاً: معجم الأدباء لياقوت الحموي سنة ١٩٣٠ بتصحيح المستشرق مرجليوث.

مصطفى محمد:

صاحب المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي، وهي الآن في ميدان العتبة، وقد نشرت كثيراً من كتب التراث، وطبع بها الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد كثيراً من تحقيقاته.

محمد علي صبيح وأولاده:

ولا زالت مطبعته ومكتبته كعهدها القديم بميدان الأزهر، طبعت كثيراً من كتب التراث ذات المتون والحواشي الصفراء المتصلة بمقررات الدراسة بالأزهر الشريف. وقد اتسمت بعض مطبوعاتها بالسرعة والعجلة، مما زهد الناس فيها.

وبعد: فلا سبيل إلى حصر المطابع الأهلية بمصر، ولكن حسبنا أن نعلم أنه قد تناثرت حول الأزهر، وباب الخلق، ودرب الجماميز (شارع بور سعيد الآن) وشارع محمد علي، والأزبكية والفجالة مطابع كثيرة، تخرج كل يوم نفائس الكتب ونوادرها، ومن أراد الإحاطة بهذه المطابع في مصر فإن قسم الإيداع بدار الكتب له قائمة مطبوعة بأسماء الناشرين والمطابع في جمهورية مصر العربية.

ومتابعة النقد لما يظهر محققاً من كتب التراث، كان ذا أثر فعال في تقويم منهج النشر، وهنا يقتضى الواجب أن أنوه بالجهد البارِع الذي بذله الأساتذة: الدكتورة عائشة عبدالرحمن، في نقد طائفة كبيرة من الكتب التي حققت نقداً منهجياً وموضوعياً وتوجيهياً، اضمحل على أثره ذلك العبث الذي كان يمارسه بعض ناشري التراث، كما أنوه بجهد الأساتذة: عبد الرحمن بدوي، وحمد الجاسر، والسيد صقر، ومحمد عبد الغني حسن، وشوقي ضيف، وعبد الستار فراج، وعبد العزيز مطر، وإبراهيم السامرائي، وعبد التفاح الحلوي، وعبد المجيد دياب، ومصطفى جواد، ومحمد جبار المعيد، وعبد السلام هارون، والأب أنستاسي ماري الكرمل، وبشر فارس، وقد كانت تنشر مقالاتهم النقدية التوجيهية في مجلات كثيرة نذكر منها:

مجلة المشرق، ومجلة المعهد العلمي العربي بدمشق، ومجلة المجلة في القاهرة، ومجلة معهد المخطوطات العربية، ومقدمات بعض الكتب المختلفة، كما في مقدمة الشعر والشعراء إلى غير ذلك.

واعتقد أن هذه الحركة النقدية لا بد من استمرارها للإسهام في تقويم المناهج المنحرفة والرقابة الواجبة للحفاظ على هذه الأمانة الغالية؛ خاصة في مثل هذه الأيام.

مركز تحقيق التراث في الهيئة المصرية العامة للكتاب :

أصدرت وزارة الثقافة في مصر قرارًا وزاريا رقم ٩٠ لسنة ١٩٦٦ بإنشاء مركز لتحقيق التراث، مقره دار الكتب المصرية في القاهرة ليحمل رسالة (القسم الأدبي) بها، وبدأ المركز فعلا يستقبل طلابه في عام ١٩٦٦م فيدرسون طبقا لللائحة، التي وضعها مجلس الأساتذة الذين ندبوا للعمل في المركز، محاضرين ومدرسين.

ومع أن وزارة الثقافة تؤمن بجدوى المركز وتقتطع له من ميزانيتها نحو خمسة آلاف جنيه في العام آنذاك، لكن المركز لم يصدر به قرار جمهوري يأخذ به مكانه المعترف به بين المعاهد الفنية العالمية التابعة لوزارة الثقافة.

وقد توقفت الدراسة النظرية فيه تماما بعد سنتين من افتتاحه!! واقتصر العمل فيه على مساعدي الباحثين الموظفين بحكم عملهم في المركز، وأصبح منهم الآن أساتذة في فن التحقيق نرجو لهم مستقبلا طيبا في نشر ما يحقونه، نذكر منهم الزملاء : منير المدني وسيد حامد عبد العال، وزينب القوصي، ووفاء الأعسر، ومرزوق على إبراهيم، وانتدب له من أساتذة الجامعات والمتخصصين في التحقيق بعض الأساتذة، وأسند إليهم تحقيق كتب بعينها، وأصبح المركز يحقق التراث على غرار القسم الأدبي الذي كان في الدار قبل ذلك، وليس معهداً علمياً. ونشر الكثير من كتب التراث التي ذكرناه سابقا، من مثل ديوان ابن الرومي، وربيع الأبرار للزمخشري وشرح اللزوميات لأبي العلاء المعري، ونثر الدرر للآبي، المنهل الصافي، وغير ذلك، واستكمل ما كان قد بدأه القسم الأدبي بدار الكتب المصرية مثل تحقيق بقية الأغاني ونهاية الأرب والمنهل الصافي لابن تغري بردي وغير ذلك.

الدورات التدريبية في الجامعة العربية:

ومنذ سنة ١٩٧١ نظمت جامعة الدول العربية دورات تدريبية كل عام بمعهد الدراسات العربية، يدرّب فيها الطلاب الذين أتموا مرحلة الدراسة الجامعية من مختلف بلدان العالم العربي، وانتدب للتدريس في دورتها بعض أساتذة الجامعات المعروفين بعملهم في هذا المجال، ومع غبظتنا بمثل هذه الدورات فإن مدة التدريب فيها قصيرة لا تتجاوز الشهرين للدورة، ويتخرج الطالب بعد ذلك ويعود لعمله الذي بعث منه، مما يجعلنا نشك في جدواها في تخريج المحقق الذي يعتمد عليه.

وقد أنشأت كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا وكلية آداب قنا فرع أسبوط ١٩٩١م مركزين لتحقيق التراث، ومازالا في دور النشأة، ندعو الله لها بالتوفيق والسداد.

وأياً ما كان الوضع، فإن مجرد قيام مراكز لتحقيق التراث، ودورات تدريبية تنظمها الجامعة العربية، وإدخال بعض الجامعات منهج التحقيق في رسائلها الجامعية، كل هذا بوادر تقدير ومشاعل على الطريق، ومن الخير أن تظل قائمة إلى أن تشكل هيئة عليا للتراث تتولى النظر في أمره، ويكون لنا فيها المعهد الذى نرجوه.

ولا شك فى أن انتهاء معهد التراث إلى جامعة الدول العربية يوسع من أفقه المحدود بحكم امتداد مجال عملها على مستوى الوطن العربى كله.

جمعية الأدباء فى مصر:

ولا يفوتنا أن ننوه بالجهد الذى قامت به جمعية الأدباء فى القاهرة، إذ حرصت على أن تقيم حلقة للتراث العربى للتعريف بما فيه من كنوز ثمينه، ولبيان دوره فى الحضارة الإنسانية فشكل مجلس إدارة الجمعية لجنة تحضيرية قامت بالتحضير لهذه الحلقة التى بدأت فى المدة ما بين ٦ يوليو سنة ١٩٦٨ و ٩ يوليو سنة ١٩٦٨، وقد شارك فى هذه الحلقة بالأبحاث الأساتذة المختصون والمهتمون بالتراث فى جميع فروعهم نذكر منهم الأساتذة الدكتور.

إبراهيم مذكور، وعائشة عبد الرحمن، وأحمد هيكل، ومحمود الحفنى، وأحمد شلبى، وعبدالصبور شاهين، وبدوى طبانة، وسعيد عاشور، وعلى عبد الواحد وافي، وكمال بشر والأساتذة: محمد عبد الغنى حسن، وأحمد سعيد الدمرداش، وإبراهيم الإبيارى، ومصطفى السحرى، وكررت هذه الحلقة سنة ١٩٨١ وكان مقررها الدكتور أحمد الحوفى، وانتهت الحلقة الأولى بالتوصيات الآتية:

أولاً: السعى لدى البلاد العربية لتقوم كل بلد باستكمال ما لديها من فهارس لما عندها من مخطوطات، حتى يتسنى بعد ذلك جمع هذه الفهارس تمهيداً لإنشاء فهرس موحد للأمة العربية كلها.

ثانياً: تصوير المخطوطات الموجودة فى أنحاء العالم وجمع مصوراتها فى مكان واحد.

ثالثاً: تقديراً للمبادرة التى قامت بها وزارة الثقافة فى إنشاء مركز للتراث أوصت اللجنة بإنشاء هيئة مقرها دار الكتب المصرية، على غرار القسم الأدبى، يرعاها أساتذة معروفون من رجال تحقيق التراث، للإشراف على إعداد أجيال جديدة قادرة على حمل أمانة العمل فى ميدان تحقيق التراث.

رابعاً: وصل الشعب العربى بتراته وذلك على النحو التالى:

١ - يقدم للعامة طرائف من التراث على شكل قصة، أو خبر، أو حكمة، أو برنامج إذاعى أو تليفزيونى، فى أسلوب ميسر، ليتفق مع جماهير الشعب.

٢ - تشجيع المؤلفين على استيعاب التراث ليعرضوا لنا من صفحاته رصيذاً فنياً على صورة قصص أو مسرحيات أو أفلام سينمائية.

٣ - السعى لدى وزارة التربية والتعليم لتزويد الطلبة بصورة من صفحات التراث تتفق مع مختلف المستويات.

٤ - السعى لدى وزارة التربية والتعليم العالي لتركز على ما يخص التراث العربي في المواد الخاصة بالتاريخ للعلوم والفنون في الجامعات والمعاهد العليا.

٥ - العمل على إنشاء موسوعات خاصة لتنظيم فروع المعرفة العربية لتصل الناس بتراثهم.

خامساً: السعى لدى المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب والعلوم الاجتماعية: حالياً (المجلس الأعلى للثقافة) ليخصص جائزة من جوائز الدولة التشجيعية سنوياً للتراث العربي.

سادساً: السعى لدى الجامعات لتخصيص منح دراسية للمتفوقين من طلاب الدراسات العليا لتشجيعهم على إعداد رسائل علمية في تحقيق التراث.

سابعاً: السعى لدى المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب (المجلس الأعلى للثقافة) لدعم لجنة التراث العربي التي أنشأها حديثاً والتي تضم صفوة المشتغلين بتحقيق التراث بشتى فروعه إلى أن يتسنى إنشاء مجلس التراث العربي.

ثامناً: إنشاء مكتب دائم للتراث، لمواصلة الجهود في سبيل تحقيق التوصيات السابقة على أن يشكل هذا المكتب من اللجنة التحضيرية التي أعدت هذه الحلقة ومن السادة الأساتذة الذين اشتركوا فيها.

تاسعاً: توصى الحلقة المكتب الدائم لاتحاد الأدباء العرب، بالعمل على عقد حلقة للتراث العربي على مستوى الأمة العربية، أو إدخال موضوع التراث العربي، ضمن بحوث المؤتمر السابع القادم^(١).

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

في آخر عام ١٩٧٢ وعلى التحديد في شهر نوفمبر من هذا العام عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اجتماع (لجنة الطب والصيدلة في ظل الحضارة العربية والإسلامية) ودعت اللجنة إلى العودة إلى التراث العربي لنختار منه المصادر الكبرى الأساسية في الطب

والصيدلة عن العرب، وتكليف عدد من العلماء والأطباء القيام بدراسة هذه المصادر دراسة موضوعية تحليلية تقرّب هذه المصادر، إلى الفكر الطبي الحديث، وأن تلحق بهذه الدراسة فهارس مفصلة، ومعجماً للمصطلحات، يتضمن المصطلحات الأجنبية الحديثة التي تقابل المصطلحات العربية الواردة في الدراسة.

كذلك اختيار عدد من أعلام الطب والصيدلة عند العرب، ليتولى عدد من العلماء والأطباء المحدثين دراستهم دراسة شاملة لكل نواحي طبهم في جميع مؤلفاتهم وبيان شخصيتهم من مجموع هذا النتاج^(١).

نشر التراث في العراق :

ظهرت الطباعة العربية في العراق سنة ١٨٣٠ م وكانت مطبعة حجرية، ثم أسس الرهبان الدومينكان - في الموصل - مطبعة كاملة سنة ١٨٥٦ م.

وتوالى الأيام وتعددت المطابع في بغداد، والموصل، والنجف، وغيرها من عواصم العراق ونشرت فيها نشرت بعض كتب التراث، ثم أنشئ المجمع العلمي العراقي في بغداد سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م فغذى حركة نشر التراث في العراق ونماها. فترى في العراق في السنوات الأخيرة نهضة شاملة في نشر التراث، ونشاطاً ظاهراً في إخراج النصوص من مختلف فروع التراث، يقوم به شيوخ العراق وشبابه، مما لا يكاد يعرف في أي قطر عربي آخر في تلك السنوات المذكورة.

وفي سنة ١٩٦٥ م ساهمت مديرية الثقافة العامة (وزارة الإعلام الآن) بالعراق بنشر: «سلسلة كتب التراث» ظهر منها: الدرّ النقيّ في علم الموسيقى، وديوان عدّي بن زيد العبادي، والفسّر لابن جني إلى غير ذلك وأخذت وزارة الأوقاف العراقية في نشر الكثير من كتب التراث، وتوالى بعد ذلك نشر التراث بكثرة من هذا القطر الشقيق.

نذكر من بين أبنائه المعروفين في فن تحقيق النصوص: محمد بهجت الأثرى، ومصطفى جواد، وصالح العلي، وإبراهيم السامرائي، وحاتم صالح الضامن، وعبد الله الجبوري، وخلييل العطية.

أما النشر الخاص في العراق فهو كثير، ولا سبيل إلى ملاحقته هنا، غير أن مطبوعات العراق ليس لها حظ كبير من الإخراج الفني الطباعي وجودة الورق ونساعة الحرف الطباعي، وعن وزارة الثقافة والإعلام صدرت (مجلة المورد) وهي مجلة تراثية فصلية تعالج شئون التراث وقضاياها.

(١) نشرة أخبار التراث العربي العدد ٣٣ الجامعة العربية.

نشر التراث في الكويت:

في نحو سنة ١٣٨٠هـ بدأت وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت مشروعاً لنشر كتب التراث، وأعدت له عدته من اختيار المحققين الأعلام، والعناية بجمال الإخراج فطبع طائفة طيبة من كتب التراث، نذكر منها: الأضداد، لأبي بكر بن الأنباري، والمصون، لأبي أحمد العسكري، ومجالس العلماء، للزجاجي. وديوان لبيد. والعبر في خبر من غير، للذهبي. وسلسلة النسب لابن الكلبي. ومن أعظم أعمال هذا المشروع إخراج ونشر كتاب تاج العروس في شرح القاموس، للزبيدي.

وتبعت وزارة الإرشاد والأنباء في نشر التراث بالكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، وكان باكورة إنتاجها كتاب الفوائد في شكل القرآن، للعز بن عبد السلام. الذي صدر سنة ١٣٨٧هـ ثم توالى مطبوعات هذه الوزارة بعد ذلك.

وهناك هيئة حكومية تالفة لنشر التراث في الكويت هي: «شعبة التراث العربي» بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ومن جهودها الطيبة في ذلك إخراج كتاب المناظر، للحسن بن الهيثم، صدر عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

نشر التراث في المملكة العربية السعودية:

في بادئ الأمر اتجه كثير من علماء المملكة العربية السعودية إلى طبع إنتاجهم التأليفي أو التراثي، في مصر، إذ لم تكن المطبعة قد عرفت قديماً في المملكة، على النحو الذي عرفت به في البلدان العربية الأخرى. وكذلك فعل الناشرون السعوديون الذين يكترون من التردد على مصر، وكانت صلتهم وثيقة بعلماء مصر، وأصحاب المطابع بها، وأذكر من هؤلاء الناشرين: الحاج عبد الشكور فدا، صاحب المكتبة الشهيرة في مكة، ومما نشره في مطابع مصر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، لتقى الدين الفاسي. ورياض الصالحين، للنووي. والطب النبوي، لابن قيم الجوزية. ومنهم الشيخ سعيد كمال، صاحب المكتبة الشهيرة في الطائف. والشيخ محمد سلطان، صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

وقد بذل بعض علماء المملكة وجهاتها عوناً ظاهراً في نشر بعض كتب التراث، من أمثال الشيخ محمد نصيف، في جده، الذي كان بيته في جده مثابة للعلماء من كل أنحاء الدنيا، وله مكتبة عامة يستفيد منها العلماء والباحثون، وقد كنت أنا أحد الباحثين المترددين على هذه المكتبة خلال عملي في هذا البحث، رحمه الله رحمة واسعة. والشيخ محمد سرور الصبان، والسيد حسن شربتلي، صاحب المطبعة المعروفة في جدة وصاحب الأيادي البيضاء على الناس وعلى كتب التراث فقد أنفق على طبع الصحاح، للجوهري الذي نشر سنة

١٣٧٦ - ١٩٥٦ م وأحب أن أشير هنا إلى مطبعتين في مصر قامتا بطبع كثير من كتب التراث: أولها مطبعة السنة المحمدية، للشيخ محمد حامد الفقى وقد حظيت بدعم طيب من المملكة العربية السعودية.

والمطبعة الثانية: هي مطبعة المدنى، المؤسسة السعودية بمصر، التى أنشأها المرحوم الشيخ على صبح المدنى سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م بجهود ذاتية خالصة، وقامت بطبع كثير من كتب التراث لابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وقد خرجت منشورات دار العروبة كلها منها، وقد خرجت تأليف شيخنا محمود شاكر وتحقيقاته الأخيرة من هذه المطبعة.

وفى السنوات الأخيرة نشطت الهيئات العلمية فى المملكة العربية السعودية، نشاطاً ملحوظاً فجمع صور المخطوطات من أماكنها فى مكنتيات العالم، بل إنهم اهتموا أيضاً بشراء المخطوطات ذاتها، وبذلوا فى سبيل ذلك أموالاً سخية، مما أغرى تجار المخطوطات بالاتجاه إليهم وعرض بضاعتهم، التى يتمثل منها مكنتيات برمتها مخطوطات رأيتها تعرض فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ومثلها ما كانت يتباعه جامعة الرياض، وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ومكتبة مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة. وكان غالب هذه المخطوطات التى تباع هناك ترد إليهم من تجار من حلب وإيران وغيرهما.

فجمعوا من ذلك نفائس ونوادر أضيفت إلى ما تجمع عندهم قديماً فى مكتبة الحرم المكى بمكة المكرمة، وعارف حكمت بالمدينة المنورة، - ثم أخذوا - فضلاً عما صوروه من دار الكتب المصرية، والأزهر، وتركيا، والهند، والظاهرية بدمشق، وقد جمع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.. بالرياض مخطوطات أصيلة عالية القيمة بالمشتري من إيران وحلب وبلاد فارس وصور المخطوطات العربية التى فى المكتبة الأهلية بباريس كما صور غيرها من المكتبات المتباعدة والفنية فضلاً عن مكنتيات الأمراء السعوديين. وفهرس كل ذلك فهرسة فنية دقيقة. كان لى شرف المشاركة فى هذا العمل. وبعد ذلك - أخذوا فى إعداد بعض هذه المخطوطات للتحقيق والنشر فكننت أحد الذين نشر لهم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض كتاب (إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين)، لعبدالباقى اليمانى سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

وكانت العناية بجمع المخطوطات ونشرها مرتبطة بالجامعات، والمراكز العلمية عندهم، وهذا ما ندعو إليه ونتحمس له.

وينبغى الإشارة هنا إلى جهد سخي سبق كل هذه الجهود، وهو ما قام به العلامة الشيخ حمد الجاسر من جمع صور المخطوطات النادرة، وعرف بها فى مجلة (العرب) التى كان يشرف

عليها فكننت أحد الذين استفادوا بعلمه في تحقيق (إشارة التعيين)^(١) فالله يميزه خير الجزاء. ثم كان التحقيق والنشر الذي نهض به أربع هيئات علمية هي: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة. والمجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. والمجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

نشر التراث في قطر:

منذ نحو سبعين عاما أخذت دولة قطر في نشر كتب التراث المتصلة بفقهاء الإمام أحمد بن حنبل، وعقيدة السلف.

وكان من أوائل ما نشر من ذلك: كتاب الفروع، لشمس الدين أبي عبد الله بن مفلح، ومعه تصحيح الفروع، لعلاء الدين أبي الحسن المرادي، وقد تم طبع هذين الكتابين سنة ١٣٤٥ هـ بمطبعة المنار بمصر، على نفقة الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني، حاكم قطر.

وفي عهد ولده سمو الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، قوى هذا الاتجاه ونما، بفضل توجيهات العلامة الجليل الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، وكان من فضلاء العصر ومن رواد التعليم في المملكة العربية السعودية، ووالد الأستاذ الفاضل أحمد المانع، مدير البعثة التعليمية السعودية بمصر، والمستشار الثقافي للسعودية ومندوبا في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالجامعة العربية.

وقد طبع على نفقة سمو الشيخ علي آل ثاني، الكثير من الكتب الفقهية وغيرها من الكتب الإسلامية.

ومن دواوين الشعر التي طبعت على نفقة سمو الشيخ المذكور: ديوان النابغة الجعدي، وديوان ذي الرمة، وديوان الأخطل، مصورة عن طبعة بيروت، وديوان أبي الحسن التهامي وديوان ابن درّاج القسطلّي.

وقد كان لهذا الأمير عناية بالعلم والأدب، وقد بلغ ما طُبع على نفقته حتى سنة ١٣٨٠ هـ نحو ثلاثين كتابا وكان له مندوبون لتوزيع هذه الكتب بالمجان في كل من القاهرة ودمشق والأحساء وبيروت.

وفي أيامنا هذه توالى دولة قطر جهودها في نشر التراث وإذاعته. ويقوم على طبع الكتب هناك الشيخ عبد الله الأنصاري جازاه الله خيرا.

(١) انظر مقدمة إشارة التعيين في تراجم والنحاة واللغويين لعبد الباقي اليماني. بتحقيق الدكتور عبد المجيد دياب فيه صورة لمخطاب من الشيخ حمد الجاسر إلى محقق الكتاب المذكور.

نشر التراث في المغرب العربي:

نريد بالمغرب العربي: ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب الأقصى.
أما ليبيا، فجهدها قليل في نشر التراث العربي، اللهم إلا ما تراه من نشرها لكتاب تاج العروس للزبيدي، مصوراً عن نشرة المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ وقد صدرت الطبعة المصورة سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م على مطابع دار صادر ببيروت لحساب دار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغازي.

ثم كان تعضيد من الجامعات الليبية، لنشر أعمال هيئة التدريس بها، مثل: شرح الرضى على الكافية، بتحقيق الشيخ يوسف عمر. وكتاب حجة القراءات لابن زنجلة، وكتاب الإصباح في شرح أبيات مشكلة الإعراب، لأبي نصر الفارقي، والكتابان بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني، العالم السورى.

ومن وراء ذلك كان علماء ليبيا ينشرون إنتاجهم بمطابع مصر، منهم: الشيخ طاهر أحمد الزاوى الذى كان يعمل مصححاً بوزارة الأوقاف المصرية ونشر بمطبعة الحلبي الكشكول للعالمى، ونشر في غيرها: ترتيب القاموس المحيط، وتاريخ الفتح العربى في ليبيا، وأعلام ليبيا.

أما الجزائر، فقد عرفت فيها الطباعة العربية في وقت مبكر، وما نشر فيها قديماً: كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بنى عبد الواد، ليحيى بن محمد بن خلدون سنة ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م وكتاب نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للحسين بن محمد بن السعيد الورتيلاني سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م وعنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، للغريبي سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م.

وفي معهد المباحث الشرقية التابع لكلية الآداب بالجزائر خرجت نصوص تراثية منها: ديوان كثير عزة، الذى نشره المستشرق الفرنسى هنرى بيريس في جزءين سنة ١٩٢٨ - ١٩٣٠ م بمطبعة جول كوربونل بالجزائر، وأخبار النحويين البصريين للسيرافي، الذى نشره المستشرق كرنكو سنة ١٩٣٥ م.

وقد كان لوجود العالم الجزائرى الكبير محمد بن أبى شنب في كلية الآداب بالجزائر، أثر ظاهر في دفع حركة نشر التراث خطوط واسعة. فنشر تكملة الصلة لابن الأبار وكتاب الجمل للزجاجى سنة ١٩٢٦ م وغير ذلك.

أما الشيخ طاهر الجزائرى (١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م) فهو جزائرى الأصل فقط، وكان مولده ووفاته وأعماله العلمية بدمشق.

وفي تونس : ظهرت الطباعة العربية مبكرة أيضاً، ومما نشر فيها قديماً. الحُلل السندسية في الأخبار التونسية، لمحمد بن محمد الوزير سنة ١٢٨٧ هـ وتاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي (محمد بن إبراهيم اللؤلؤي) سنة ١٢٨٩ هـ ورقم الحلل في نظم الدول، للسان الدين بن الخطيب سنة ١٣١٧ هـ وغير ذلك الكثير.

وكان لإشراق تونس بالعلماء الكبار، أمثال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والمرحوم حسن حسنى عبد الوهاب أثر كبير في إذكاء حركة نشر التراث في تونس وغيرها من البلدان العربية.

وفي السنوات الأخيرة قامت في تونس دار نشر كبيرة تسمى (الدار التونسية للنشر) عنيت بنشر كثير من عيون التراث، وخاصة تاريخ المغرب، وعلومه، وآدابه. وهناك دار أخرى شركة بين تونس وليبيا هي (الدار العربية للكتاب) قد باشرت طبع شيء من كتب التراث منها: كتاب الغنية، وهو فهرست شيوخ القاضي عياض.

وأنشأ أحد أبناء تونس الأفاضل دار نشر في بيروت تعرف بـ (دار الغرب الإسلامي ببيروت) وهو العالم الأديب التونسي الحبيب اللُمسي، وبدأ يخرج من خلالها نصوصاً تراثية يختارها بعناية، منها ديوان تابط شرا. جمع وتحقيق الأستاذ على ذو الفقار شاكر سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

أما المغرب الأقصى : وهو المراد بكلمة (المغرب) عند إطلاقها في عصرنا الحديث. كانت بداية الطباعة العربية في المغرب، في المطبعة الحجرية بفاس التي بدأت نشاطها منذ ما يزيد على المئة سنة، فأخرجت قدراً كبيراً من التراث المغربي والأندلسي. ومن أوائل ما نشر في هذه المطبعة: الأنيس المطرب القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس، لابن أبي زرع، سنة ١٣٠٥ هـ وجذوة الاقتباس، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، لابن القاضي سنة ١٣٠٩ هـ وغير هذا الكثير.

وقد ذكر العلامة محمد المنوني في كتابه (مظاهر يقظة المغرب الحديث ٢٠٥/١) قصة دخول المطبعة الحجرية بلاد المغرب فقال: «وصلت المطبعة الحجرية للمغرب في شعبان سنة ١٢٨١ هـ - ١٨٦٤ - ١٨٦٥ م وكان دخولها بشكل فردي، حيث جاءت على يد قاضي تارودانت محمد الطيب بن محمد السوسي التمللي الروداني، الذي اشتراها من الشرق لما حج، ثم أتى بها للمغرب، ومعه طبع مصرى ليشغل بها».

وكان بدء عمل هذه المطبعة الأولى في تاريخ الطباعة المغربية بمدينة مكناس، وكان أول كتاب يطبع بها «الشمائل المحمدية» للإمام أبي عيسى الترمذى في ٤ صفر سنة ١٢٨٢ هـ ثم

نقلت إلى مدينة فاس، وطبعت الكتاب الثانى: شرح المقدمة الأجرومية للشيخ خالد الأزهرى، وتم طبعه فى ١٨ جمادى الثانية، سنة ١٢٨٣هـ.
وقد تعددت المطابع الحجرية بعد ذلك فى مدينة فاس، ترى أسماها، وأسما مطبوعاتها فى كتاب الأستاذ منونى المذكور.

وقد رأى السلطان محمد الرابع وجوب تطوير الطباعة المغربية، وتأسيس مطبعة عصرية يجمع الحروف آنذاك، فأرسل أحد المغاربة إلى مصر ليتدرّب على الطباعة العصرية وصف الحروف وقد تعددت المطابع العصرية بعد ذلك فى فاس، والرباط والدار البيضاء، وتطوان، وطنجة، وغيرها من بلاد المغرب، فى مختلف العلوم والفنون.

ومع شيوع الطباعة فى المغرب، رأينا كثيراً من العلماء، والناشرين المغاربة، يتجهون إلى مطابع مصر؛ لنشر عيون التراث، مشاركة مع دور النشر فى مصر، أو استقلالاً، فطبعوا أشياء فى (مطبعة بولاق) والمطبعة البهية وغيرها من المطابع الخاصة.

ومن أبرز الآثار المغربية التى طبعت فى مصر فى تلك الأيام كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأبى العباس أحمد بن خالد الناصرى السلاوى وقد طبع بالمطبعة البهية المصرية سنة ١٣١٢هـ = ١٨٩٤م

ومن الناشرين النابيين بمصر: محمد ساسى المغربى، وكان تاجرًا بالفحامين بالقرب من الأزهر، وقد تولى الإنفاق على طبع موسوعات هامة منها: كتاب الأغاني، لأبى فرج الأصفهاني، الذى ظهر مُدَيلاً بالفهارس، ومكًملاً بالجزء الحادى والعشرين، ولا تزال طبعته تتداول حتى الآن.

ثم كان تعاون بين معهد مولاي الحسن بتطوان، الذى أسسه مولاي الحسن المهدي العلوى، خليفة ملك المغرب، وبين لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر فنشرت هذه اللجنة لحساب المعهد المذكور كتاب أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض، للمقرى، صاحب نفع الطيب عام ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م، ومعجم ما استعجم (٤ أجزاء) لأبى عبيد البكرى عام ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م إلى جانب مترجمات كثيرة كالحضارة الإسلامية، لآدم متز، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة (جزءان) وغير ذلك الكثير من المترجمات.

ولا يزال هؤلاء المغاربة الغيورين على تراثهم يواصلون نشر التراث المغربى فى المغرب محققاً تحقيقاً أميناً، على يد علماء المغرب الأفاضل، من أمثال الأساتذة، عبد الحى الكنانى، صاحب فهرس الفهارس، وعبد الله كنون، ومحمد بن تاويت الطنجى، وعبد الهادى التازى، ومحمد الفاسى.

وفي السنوات الأخيرة نشطت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، إلى نشر طائفة صالحة من كتب التراث، مثل تفسير ابن عطية المسمى: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وكان قد طبع منه جزء في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ومختصر العين لأبي بكر الزُّبيدي (صدر منه جزء واحد) والإعلام بحدود قواعد الإسلام للقاضي عياض.

وهناك بعض المطبوعات القرآنية تصدر عن المطبعة الملكية.

ويلاحظ الباحث أن حركة التراث العربي في المغرب الكبير (تونس والجزائر والمغرب) تدور غالبا في فلك التراث المغربي: تاريخه وعلومه وآدابه ومذهبه الفقهي (المذهب المالكي) وكانت جهودهم في نشر التراث المشرقي قليلة إذا قيست بما نشره من تراث المغرب الكبير.

* * *

دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد الدكن - الهند

هذه قلعة كبرى من قلاع نشر التراث العربى - تأسست عام ١٨٨٨ م ومن المعروف أن الطباعة العربية قد عرفت فى الهند قبل ذلك التاريخ، فهناك حماسة أبى تمام التى طبعت فى كلكتا عام ١٨٥٦ م ومغازى الواقدى ١٨٥٥ م وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١٨٦٢ م وأبجد العلوم لصديق حسن خان القنوجى، بهوبال ١٢٩٥ هـ وديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني) بمباى ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م وغير ذلك.

ولما أنشئت العثمانية بمحيدر آباد عام ١٩١٨ م ضمت إليها دائرة المعارف العثمانية، وقد جمعت دائرة المعارف عدداً وفيراً من المخطوطات العربية النادرة والأفلام المصورة من مكاتب: أوروبا، وروسيا، وإيران، وتركيا، ومصر، وسائر البلاد العربية، بالإضافة إلى ما تضمه مكاتب الهند نفسها، ثم أخذت فى نشرها وإذاعتها. وقد بلغ ما نشرته الدائرة خلال سبعين سنة من إنشائها ١٧٠ كتاباً فى ٣٧٠ مجلداً. وقد أتت مطبوعات الدائرة على كل فنون التراث، وجاء فى قائمة مطبوعاتها المنشورة سنة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م أسماء هذه الفنون. والكثير من منشورات الدائرة من الموسوعات ذات الأجزاء المتعددة. مثل: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلانى (١٢ جزءاً) والأنساب للسمعانى (١٢ جزءاً) والسنن الكبرى، للبيهقى (١٠ أجزاء) والجرح والتعديل، لأبى حاتم الرازى (٩ أجزاء) ولسان الميزان، لابن حجر العسقلانى (٦ أجزاء).

وقد تعاون مع الدائرة فى نشر بعض مطبوعاتها نفر من المستشرقين منهم: كرنكو، وأربرى، وقد كان للدائرة اتصالات وثيقة بعلما المخطوطات والتراث فى أنحاء العالم.

وقد نشرت الدائرة بعض مطبوعاتها خارج الهند ومن ذلك كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابورى، الذى طبع فى دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م وغير ذلك. والقائمون على تصحيح الكتب فى هذه الدائرة، يعملون فى إخلاص واحتساب وسمت، ومن أشهرهم: الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى، أحد قضاة اليمن الملقب بشيخ الإسلام، سافر إلى الهند وعمل مصححاً فى الدائرة المذكورة، وفى سنة ١٣٧١ هـ ترك محيدر آباد ورحل إلى مكة المكرمة فعين أميناً للمخطوطات بمكتبة الحرم المكى. إلى أن توفى عام ١٣٨٦ هـ ودفن بمكة رحمه الله.